مئة قصة وقصة

في

أنيس الصالحين وسمير المتقين

المجموعة الأولى

جمع وترتيب

محمد أمين الجندي







بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ٣٢٣٧ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى
977-331-182- 1

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القصص عبرة المعتبرين وفُكاهة المتفكهين وسلوة المحزونين، والصلاة والسلام على أصدق القاصين وسيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم إلى يوم الدين. آمين.

وبعـــد ...

فإن النفوس تسأم كما تسأم الأجسام وتمل كما تمل الأبدان وتصدأ كما يصدأ الحديد ولابد لها من الترويح عنها بالتماس طرائف الحِكَمِ وعجائب القصَصِ الصحيح تتسلى به عن مجهودها وتستجم لوقت نشاطها وتنشط لزمان عملها يقـــول ابن مسعود رضي الله عنه: «القلوب تمل كما تمل الأبدان فاطلبوا لها طرائف الحكم».

وقال الزهري: كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ﷺ ويذاكرهم فإذا ثقل عليه الحديث قال: إن الأذن مجاجة ألا فهاتوا لها من أشعاركم وحديثكم هذا.

وقد أردت أن أعالج ناحية من نواحي ضعف النفس بما أقدمه لها من دواء ناجعٍ وبلسمٍ شافٍ وأحببت أن أروح عنها ببعض المرغّبات القصصية فجمعت في هذا الكتاب مائة قصة منها ما ورد عن النبي ﷺ ومنها ما ورد عن الصالحين وعن الأشرار والطالحين والملوك والمتقدمين وكم في هذه القصص من عبرة للمؤمنين وهدى وموعظة للمتقين وقد بَذَلْتُ جهدي في جمعها وإعدادها وشرح غريبها

واخترت أصح القصص وما قَبِلَه العماء وتركت كل ما هو مردود أو موضوع وذكرت مراجعها ليطْمئن القراء الكرام. فإن كان فيها من خير وحق فذلك من فضل الله وتوفيقه، وإن كان غير ذلك فإنما هو من النفس والشيطان والله ورسوله منه براء.

وقد جعلت الكتاب مفرق المواضيع ليكون أبعث للنشاط وأمتع للنفس وأروح للقلب وسميته مائة قصة وقصة في أنيس الصالحين وسمير المتقين.

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، نافعاً لِخلْقِه إنه سميع الدعاء.

محمد أمين الجندي

١ قصة الأبرص والأقرع والأعمى

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرصَ وأقرعَ وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكاً فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسن وجلدٌ حسن ويذهب عني الذي قد قذرني[1] الناس فمسحه[2] فذهب عنه قذره وأُعطيَ لوناً حسناً فقال (الملَك): فأي المال أحب إليك قال: الإبل – أو قال: البقر – شك الراوي. فأُعطي ناقةً عُشراء[3]، فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعُطى بقرة حاملاً، قال بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: الغنم فأعُطى شاة والداً. فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم. ثم إنه (الملَك) أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال[4] في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغُ به في سفري فقال: الحقوق كثيرة. فقال (الملَك): كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا

---

(١) كرهني.

(٢) أمرَّ يده عليه.

(٣) حامل.

(٤) الأسباب.

(*) الكلمات التي بين قوسين ليست من الحديث وإنما هي من إضافة المؤلف لتوضيح المعنى.

المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري؟. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أَجَهُدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل. فقال: أمسك مالك فإنما ابتُليتُم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك».

(رواه البخاري ومسلم)

٢ قصة جُريج العابد

عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «كان جُريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جُريج. فقال: يا رب أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جُريج. فقال: يا رب أمي وصلاتي (أيهما أجيب وأيهما أفضل)[١] فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جُريج. فقال: يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته. فقالت: اللهم لا تُمتْهُ حتى ينظر إلى وجوه المومسات. فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته. وكانت امرأة بغي يُتَمثَّلُ[٢] بحسنها (جمالها) فقالت: إن شئتم لأفتننَّهُ. فتعرضت له فلم يلتفت إليها. فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته

---

(١) الكلمات التي بين قوسين ليست من الحديث وإنما هي من إضافة المؤلف لتوضيح المعنى.

(٢) أي يُضرب بها المثل في الحسن والجمال «الناشر».

فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جُريج. فأتوه فاستنـــزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيتَ بهذه البغي فولدتْ منك. قال: أين الصبي؟ فجاءوا به فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه، وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي. فأقبلوا على جُريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا».

(رواه البخاري ومسلم)

ويؤخذ من هذه القصة:

١- إن حق الأم عظيم وأنها يستجاب لها في ولدها إذا تغير قلبها عليه، فجُريج مع عبادته واعتزاله تغير قلب أمه عليه إذ دعته و لم يجبها لأنه كان في صلاته فدعت عليه فاستجيب لها فما الظن بمن تدعو عليه لإهانتها.

٢- إن الإلتجاء إلى الله بصدق ينفع عند وقوع الشدائد كما التجأ جُريج وليس بينه وبين الموت إلا سويعات فأنطق الله له الرضيع ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

٣- قوة الإيمان وصدق التوكل تصدر عنهما العجائب كما أنطق الله الرضيع لهذا الرجل المبارك. بل أنطق له فروع الشجرة. ذكر السمرقندي أن المرأة اتهمته أنه زنا بها عند شجرة فذهب إلى الشجرة يسألها وقال: يا شجرة أسألك بالذي خلقك مَنْ زنى بهذه المرأة؟. فأجاب كل غصن منها: راعي الغنم.

٤- نهاية الكذب والزور الفشل والخيبة كما حصل لهذه المرأة (اهـ. سمير الصالحين بتصرف يسير).

٣ أمانة فريدة

قال ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقاراً فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جَرَّةً فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك إنما اشتريتُ منك الأرض ولم أشترِ الذهب. وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل. فقال الذي تحاكما إليه: ألكُما ولدٌ(١)؟. قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية. قال: أنكحا الغلامَ الجاريةَ، وأنفقا على أنفسهما منه».

(رواه البخاري ومسلم)

٤ صدقة مقبولة

قال ﷺ: «قال رجل لأتصدَقنَّ بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون تُصُدِقَ الليلةَ على سارق، فقال: اللهم لك الحمد لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون تُصُدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني. فَأُتِي (في المنام) فقيل له: أما صدقتك على سارق

(١) كلمة ولد تطلق على الذكر والأنثى ولذلك قال الآخر لي جارية أي بنت «الناشر».

فلعله أن يستعف عن سرقته وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها. وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما آتاه الله».(١)

(رواه البخاري ومسلم)

٥ من الغني ومن الفقير؟

حُكِيَ أن رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده. ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى إنه طلق زوجته. وتزوجت من بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته: ادفعي إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه فإذا به زوجها الأول فأعطته الدجاجة ورجعت وهي تبكي إلى زوجها فسألها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول وطرده، فقال لها زوجها: ومم تعجبين وأنا والله السائل الأول.

٦ حكم صائب

قال ﷺ: **«خرجت امرأتان ومعهما صبيان، فعدا الذئب على صبي إحداهما فأكله فاختصما في الصبي الباقي (كل منهما تقول إن الصبي الباقي هو ابنها) فاختصما إلى داود عليه السلام فقال: كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما إلى سليمان عليه السلام، فقال: ائتوني**

(١) وهذا محمول على أنه لا يعرف أحوالهم وإلا ففيرهم أحق بالصدقة منهم والصدقة لا تحل لغني «الناشر».

بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف. فقالت: الصغرى: أتشقه يا نبي الله، قال: نعم، قالت: لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى، فقال: خذيه فهو ابنك وقضى به لها[1]».

(رواه البخاري ومسلم)

٧ قصة ذا الكفل

قال ﷺ: «كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عَمِلَه. فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت (ارتجفت) وبكت. فقال: ما يبكيك أكْرَهْتُكِ؟. قالت: لا. ولكنه عمل ما عملته قط. وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلتيه قط اذهبي فهو لك. وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبداً. فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غفر للكفل. فعجب الناس من ذلك».

(رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الإسناد)

٨ سوء الخاتمة

١- كان بمصر مؤذن عليه علامات الصلاح وذات يوم صعد المنارة ليؤذن فرأى نصرانية من المنارة فافتتن بها فذهب إليها فامتنعت أن تجيبه إلى ريبة وشبهة فقال لها: أتزوجك، فقالت: أنت مسلم وأنا نصرانية فلا يرضى أبي. قال: أتنصر. فقالت: الآن يجيبك ويرضى. فتنصر الرجل والعياذ بالله ووعدوه أن يدخلوه عليها.

---

(١) لأن خوف الصغرى عليه وحرصها على سلامته ونجاته دليل على صدقها «الناشر».

وفي أثناء ذلك اليوم رقى[1] سطحاً لحاجة فزلت قدمه فوقع ميتاً فلا هو ظفر بها ولا هو ظفر بدينه فنعوذ بالله من سوء الخاتمة.

٢- حُكِيَ أن أخوين كان أحدهما عابداً والآخر مسرفاً على نفسه، فسولت للعابد يوماً نفسه أن يتبع شهواتها ترويحاً لما ضيع من سني عمره في العبادة ثم يتوب بعد ذلك لعلمه أن الله غفور رحيم، فقال العابد في نفسه: أنزل إلى أخي في أسفل الدار وأوافقه على الهوى واللذات بعض الوقت ثم أتوب وأعبد الله فيما تبقى من عمري، فنـــزل على هذه النية. وقال أخوه المسرف قد أفنيت عمري في المعصية وأخي العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأتوبن وأصعد إلى أخي وأوافقه في العبادة ما بقى من عمري فلعل الله يغفر لي، فطلع على نية التوبة ونزل أخوه على نية المعصية، فزلت رجله فوقع على أخيه فمات الاثنان معاً، فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة.

٣- رُوِيَ أن رجلاً من المسلمين وقع في الأسر فكان يخدم راهبين وكان يحفظ القرآن، فكان إذا تلا القرآن رق قلبهما وبكيا ثم أسلما وتنصر الرجل المسلم، فقـــال له: ارجع إلى دينك الأول فهو خير. فلم يرجع ومات نصرانياً نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

٤- وقال سفيان الثوري: رأيت رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ. فقلت: يا أخي ما قضيتك. فقال: كنا أربعة أخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يُفتن عند موته و لم يَبقَ إلا أنا فما أدري بم يُختم لي.

٥- احتُضِرَ بعض العصاة. وكان كلما قيل له: قل لا إله إلا الله يقول هذا البيت:

---

(١) أي صعد «الناشر».

يا رُبَّ قائلةٍ يوماً وقد تَعِبَتْ   أين الطـــريقُ إلى حمامِ مُنجابِ

وسبب ذلك أن امرأة عفيفة حسناء خرجت إلى حمام معروف باسم حمام منجاب فلم تعرف طريقه وتعبت في المشي فرأت رجلاً على باب داره فسألته عن الحمام فقال: هو هذا وأشار إلى باب داره، وكان باب داره يشبه باب هـــذا الحمام! فلما دخلت أغلق عليها الباب. فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه وقالت خدعةً منها وتحايلاً لتتخلص مما أوقعها فيه وخوفاً من فعل الفاحشة: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا اشترِ لنا شيئاً من الطيب وشيئاً من الطعام وعَجِّلْ العودة إلينا فقال لها الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها في الدار و لم يغلقها لأنه كان واثقاً بها وبرغبتها فاشترى الرجل ما يليق ورجع المنـــزل فوجدها قد خرجت وذهبت، فهام الرجل بها وأكثر لذكرها وصار يمشي كالمجنون في الطرق والأزقة وهو يقول:

يا رُبَّ قائلةٍ يوماً وقد تَعِبَتْ   أين الطـــريقُ إلى حمامِ مُنجابِ

فينما يقول ذلك: إذا بجاريته تقول له:

هلا جعلت سريعاً إذ ظفرت بها   حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب

فإزداد هيامه بها واشتد هيجانه و لم يزل كذلك حتى كان هذا البيت (... أين الطريق إلى حمام منجاب) هو آخر كلامه من الدنيا وكان كلما قيل له: قل لا إله إلا الله يقول هذا البيت. فانظر كيف منعته هذه الخطيئة عن الإقرار بالشهادتين عند الموت مع أنه لم يصدر منه إلا إدخال المرأة.

٩ توبة كاذبة

قال منصور بن عمار: كان لي صديق مسرف على نفسه ثم تاب وكنت أراه كثير العبادة والتهجد، ففقدته أياماً، فقيل لي: هو مريض، فأتيت إلى داره فخرجت إليّ ابنته، فقالت: من تريد؟ قلت: فلاناً فاستأذنت لي ثم دخلت فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على فراشه، وقد اسودّ وجهه، وازرقّتْ عيناه، وغَلُظَتْ شفتاه، فقلت له وأنا خائف منه: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله، ففتح عينيه ونظرَ إلى شزراً وغُشي عليه، فقلت له ثانياً: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ثم ثالثاً، ففتح عينيه وقال: يا أخي منصور هذه كلمة قد حِيلَ بيني وبينها. فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قلت له: يا أخي أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام، فقال: كان ذلك لغير الله وكانت توبتي كاذبة إنما كنتُ أفعل ذلك ليقال عني وأُذكَرَ به وكنتُ أفعل ذلك رياء الناس، فإذا خلوت إلى نفسي أغلقت الباب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت ربي بالمعاصي ودُمتُ على ذلك مدة فأصابني المرض وأشرفت على الهلاك، فقلت لابنتي هذه: ناوليني المصحف وقلت: اللهم بحق هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتني وأنا لا أعود إلى ذنب أبداً فَفَرَّج الله عني فلما شُفيتُ عدتُ إلى ما كنتُ عليه من اللهو واللذات وأنساني الشيطانُ العهدَ الذي كان بيني وبين ربي فبقيتُ على ذلك مدة من الزمان فمرضت مرضاً أشرفت فيه على الموت فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار على عادتي ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه ثم رفعته وقلت: اللهم بحرمة ما في هذا المصحف الكريم من كلامك إلا ما فرجتَ عني[1] فاستجاب الله

(١) هذا الدعاء فيه نظر والأولى أن يتخير العبد من الدعاء المأثور فإنه مبارك وميسور «الناشر».

مني وفرَّج عني ثم عدت إلى ما كنتُ عليه من اللهو فوقعتُ في هذا المرض فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كما تراني ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لي حرف واحد فعلمت أن الله سبحانه قد غضب علي فرفعتُ رأسي إلى السماء وقلت اللهم بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجتَ عني يا جبار الأرض والسماء فسمعتُ كأن هاتفاً يقول:

تتوبُ عن الذنوب إذا مرضتَ ... وترجــع للذنوب إذا برئتَ

فكـــم من كربةٍ نجـــاك منها ... وكـــم كَشَفَ البلاءَ إذا بُليتَ

أمـــا تخشى بأن تأتي المنايـــا ... وأنت على الخطــايا قد دُهيتَ

قال منصور بن عمار: فوالله ما خرجت من عنده إلا وعيني تسكب العبرات فما وصلت الباب إلا وقيل لي: إنه قد مات.

١٠ أخلاق اليهود

قال وهب بن منبه: خرج عيسى عليه السلام يسيح في الأرض فصحبه يهودي وكان معه رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى: تشاركني في طعامك؟ قال اليهودي: نعم. فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم .. فقام إلى الصلاة .. فذهب صاحبه وأكل رغيفاً .. فلما أتم عيسى صلاته قدما طعامهما .. فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيف واحد .. فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا فجاءوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنَّا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح. فقال: افعل. فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك

فهل تشكره؟ قال: نعم. فمس بصره ودعا الله به فأبصر .. فقال عيسى لليهودي: بالذي أراك الأعمى يبصر أما كان معك إلا رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيف واحد. فسكت عيسى عنه .. فمرا بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبياً منها فذبحه، ثم أكلا منه ثم قال عيسى للظبي: قم بإذن الله فقام، فقال الرجل: سبحان الله، فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيف واحد. فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه. فقال الرجل: سبحان الله. فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية مَنْ صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيف واحد .. فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقال عيسى عليه السلام: واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلي. فقال عيسى هي لك كلها وفارقه فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب فقال اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام فذهب فقال أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا .. قال الآخر: نعم. قال الذي ذهب يشتري الطعام: أجعل في الطعام سُماً فأقتلهما وآخذ الذهب وحدي. ففعل ما أملاه عليه شيطانه. فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضاً بجوار الذهب فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: **هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها**[1].

---

(١) وهذا واللهِ عينُ الإفلاس يجمعُ المرء ويحرص على جمع الدنيا ثم تدوسه الدنيا ويأتي الله مفلساً «الناشر».

١١ يوم التوابين

ضاق المسجد الكبير على سعته بالحشد الكبير من المسلمين الذين تعلقت عيونهم في محبة وإكبار بمالك بن دينار (وكان من كبار الزهاد العُباد) وقد جلس على مقعده في صمت عميق ثم رفع رأسه. فرأى الناس منظراً ما شاهدوه قط على فقيه العراق وإمام وواعظ مسجد الكوفة. فقد كانت عيناه مليئتين بالدموع. وقد بللت دموعه الصامتة لحيته إذ راعه هـذا الحشد الذي جاء مستمعاً له اليوم بعدما أعلنهم بالأمس أنه سيحدثهم عن أمر ما لا يعرفونه وما يجب أن يعرفوه ..

وبدأ الإمام مالك يتكلم وبدأ صوته يمس أعماق قلوب سامعيه ومحبيه حتى ظن أن الصوت قادم من بعيد فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ﷺ ثم دعا لسامعيه وعارفيه بالخير والمغفرة لأنهم يحسنون به الظن وقال: قلت لكم بالأمس إني محدثكم في الغد بإذن الله عن هذا العبد الفقير إلى الله تعالى الذي تستمعون إليه عن مالك فإني أعلم من نفسي ما لا تعلمون وأنتم تحسنون بي الظن جزاكم الله خيراً. فقد كنت في شبابي شرطياً ظالماً وقد كلفت بالمحافظة على السوق فلم ينجُ من ظلمي أحد ولا من غلظتي فرد، فكم من الناس اشتبكت معهم وآذيتهم يغفر الله لي ما تذكرتهم إلا وتقطعت نياط قلبي أسىً على نفسي ولولا إيماني برحمة الله وفي رحمة الله لكنت اليوم غيري بكثير. ولم أترك يا إخوتي من الموبقات شيئاً لم أفعله كنت أشرب الخمر وأضرب الناس وأتدخل فيما لا يعنيني من شئونهم حتى البيع والشراء وأناصر من يروقني ولو كان ظالماً. وذات يوم كنت أسير في السوق فوجدت رجلين يختلفان على أمر بينهما، واحد يشتري بضاعة والآخر يبيع له ويصر على أن

يأخذ في بضاعته ثمناً معيناً، والرجل الآخر يحاول أن يقلل منه، فنهرت المشتري وكدت اضربه بعصاي لولا أن شيئاً معيناً لا أعرفه منعني، ونظرت إليه متأملاً فوجدته رجلاً أشيب الشعر على وجهه سمات الطيبين من الناس وأشار إليَّ بيده أن أتوقف قبل أن أحكم وعرض عليَّ النـــزاع بينه وبين التاجر، ولأول مرة في حياتي أُنصت إلى شكاية وختم حديثه بأنه سمع حديثاً عن سيدنا رسول الله ﷺ يقول فيه: **«إذا ذهب أحدكم إلى السوق فاشترى أشياء تدخل المسرة على بناته نظر الله إليه»**[1] وأنا قادم من سفر وأردت قبل أن أذهب إلى بيتي شراء شيء يدخل المسرة على بناتي الثلاثة حتى ينظر الله إليَّ. ويقول مالك: وتأثرت من حديث الرجل واشتريت له البضاعة التي أرادها وأوصلته بها وتركته بعد أن سألته بالله أن يجعل بناته يدعون لي. ومرت الأيام ولا زال حديث الرجل معي يرن في أذني حتى رأيت جارية جميلة جداً تُباعُ في السوق فوقعت في قلبي أجمل وقع وأحببتها فاشتريتها وتزوجتها وعشت معها أياماً سعيدة جداً أنستني فساد أمري وبدأت في الاستقامة خاصة عندما رزقنا الله بمولودة جميلة. ولكن لم تمضِ على وجود ابنتي أياماً حتى ماتت زوجتي وتركت ابنتنا يتيمة وعشت بعد ذلك سنتين لا أتزوج ولا هم لي غير العناية بابنتي التي صارت لي كل شيء في دنياي.

وذات يوم عدت من عملي لأجد ابنتي تتألـــم وتتوجع وبحثت لها عن الدواء من خلال الأطباء ولكن أمر الله كان أبلغ وأسرع وضاعت ابنتي من على صدري وأخذت أضمها إلى قلبي ظناً مني أن الحياة ستدب فيها مرة أخرى أبللها بدموعي وأنادي عليها بحزن وبجزع قلبي ثم أسلمت أمري إلى الله وواريت وحيدتي التراب

---

(١) حديث غريب لم نقف عليه «الناشر».

وهربت من نفسي ومن حياتي ومن واقعي إلى الألحان وأصبحت أعب الخمر وأعيش سكيراً كي لا أفيق إلى عالمي الحزين فأعرف ما فيه وأشعر بفداحة مصيبتي ووحدتي. وعادت إليّ غلظتي مع الناس والقسوة عليهم كأني أنتقم منهم وكأنهم هم الذين سلبوا مني امرأتي وابنتي وسعادتي حتى إني ذات يوم كنت أطوف بالسوق فرأيت امرأة تحمل قليلاً من الطعام فاغتصبته منها بالقوة ولم أهتم ببكائها أو صراخها ولا بعويل أطفالها الصغار. وذهبت ليلتها مبكراً إلى منـــزلي وكنا في النصف من شهر شعبان. ونمت نوماً عميقاً وبينما أنا على هذه الحالة، إذ رأيت في عالم الرؤيا أن القيامة قد قامت، ونُفِخَ في الصور وحشرت الخلائق جميعاً وأنا معهم ثم سمعت صوتاً رهيباً مهولاً فالتفت فإذا بتنين (ثعبان) عظيم أسود أزرق فاتح فمه ويتطاير الشرر من عينه وهجم عليّ هذا التنين بشراسة فمررت بين يديه هارباً فزعاً منه حتى التقيت بشيخ ضعيف عاجز فهتفت به أنقذني وأجرني من هذا التنين أجارك الله فبكى إليّ وشكى الضعف الذي هو فيه ثم قال أسرع لعل الله يقيض لك ما ينجيك منه فوليت هارباً مسرعاً على وجهي إلى أن صعدت على شرف وحافة ونهاية القيامة فأشرفت على طبقات النار فكدت أهوى فيها من فزعي والتنين من ورائي يلاحقني فصاح صائحٌ ارجع فلست من أهلها. فرجعت من فزعي والتنين في طلبي فأتيت الشيخ أطلب منه الرحمة مرة ثانية فاشتكى إليّ ضعفه تجاه الوحش الرهيب ثم قال سِر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك. فنظرت إلى جبل مستنير من فضة وستور معلقة على كل مكان مصراعات من ذهب أحمر يتوهج وعلى كل مصراع ستر من حرير يخطف جماله البصر فهرولت إليه والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع ثم رأيت أطفالاً كالأقمار واقترب التنين مني فاحترت في

أمري فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا جميعاً فقد قرب منه عدوه فقدموا وفداً بعد وفد وإذا أنا بابنتي التي ماتت فنظرت إليّ وبكت وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى صارت عندي ومدت يدها الشمال إلى يدي اليمين وتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً وأجلستني وقد بلغ الإعياء والتعب مني منتهاه واحتضنتها إلى قلبي وقبلتها والدموع في عيني كأني أخشى أن أفقدها مرة أخرى ورفعت يدها إلى لحيتي وأخذت تداعبها ونظرت إليّ بعينيها الجميلتين في حنان وحب خالص وقالت لي يا أبت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، فبكيت لما سمعت هذه الآية بكاء ما بعده بكاء كأني أول مرة أسمعها وقلت لها: وأنتم تعرفون القرآن قالت: نحن أعرف به منكم، قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت: ذلك عملك السيئ الشرير قويته فانقلب عليك يريدك في نار الجحيم. قلت: والشيخ العجوز؟ قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته فلم يتمكن من نجدتك. قلت: يا بنيتي ماذا تفعلون في هذا الجبل؟ قالت: أطفال المسلمين أسكنوا فيه إلى قيام الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم.

ففزعت فزعة شديدة قمت على إثرها من نومي والعرق يبللني كأنه مطر غزير أغرقني وأمسكت بعصاي فكسرت آلات الطرب وزجاجات الخمر وهتفت من قلبي إلى الله تائباً ولزمت الفراش بعدها أياماً لا أقوى على الحركة وظللت في هذه الفترة أستغفر الله وأتوب إليه وأسأله الرحمة وعرفت من يومها أن أُخلص النية في سلوك الطريق طريق الله وكنت أعبد الله في الأيام الأولى لتوبتي بخوف شديد إذ أتمثل في معظم أوقاتي التنين مجسماً أمامي يريد أن يفترسني ..

وفي هذا الجو المليء بالخوف والرعب حبست نفسي عن الناس ومرت بنا أزمة شديدة إذ مُنع سقوط المطر فبدأنا ندعو الله ومع ذلك لم تهطل الأمطار فجف الزرع وأخذنا الظمأ حتى كان ذات يوم بقيت في المصلى أدعو الله بعد أن انفض الناس و لم يبق سواي وإذا برجل أسود دقيق الساقين عظيم البطن يدخل فصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفذ ما عندك أقسمت عليك بحبك[1] لي إلا أسقيتنا الساعة (الآن) فما كاد ينتهي من دعائه حتى أمطرت السماء كأفواه القرب وهم الرجل بالانصراف فتعرضت له وقلت: أما تستحي أن تقول بحبك لي وما يدريك أنه يحبك. قال لي: يا من اشتغل عنه بنفسه أين أنا كنت حينما اختصني بتوحيده دون غيري أتراه بدأني بذلك إلا لمحبته لي، ألا تعلم أن الله تعالى واسع المغفرة بعظيم المحبة لعباده، ألم تسمع قـــوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وتركني وأنا في حالة من الذهول ومن يومها وأنا أقبل على الله دون أن أحس بالتنين ..

وصمت مالك بن دينار فترة ثم قال في قوة وخشوع: أيها الناس إن الله رحيم فأبشروا بالرحمة وبشروا بها الناس إن الله يحبكم حباً لو تعلمونه آهٍ لو تعلمونه ما عصيتموه. أتحبون الله أيها الناس .. إذن فاعلموا أن علامة محبة الله مداومة ذكره لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ومن لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوق فقد قل علمه وضيع عمره. توبوا إلى الله عباد الله، وانتفض مالك قائماً فهب معه الناس قياماً يرددون التوبة الصادقة مع الله وإلى الله وحتى سُمي هذا اليوم وقتذاك «بيوم التوابين».

---

(١) هذا الدعاء فيه نظر وفيه تزكية للنفس وقد نهى الله عن ذلك كما أن فيه نوعاً من الاعتداء في الدعاء «الناشر».

١٢ قصته ﷺ مع جبريل وميكائيل

عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة الغداة[١] أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا»؟ قال: فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقص: ما شاء الله فسألنا يوماً فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا»؟ قلنا: لا ! قال: «لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كلوب[٢] من حديد يدخله في شدقه[٣] حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله .. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر[٤] فيشدخ[٥] بها رأسه فإذا ضربه تدهده[٦] الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه .. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عُراة، فيأتيهم اللهب من تحتهم فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون، فإذا خمدت رجعوا فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شاطئ النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فمه

---

(١) أي الفجر «الناشر».

(٢) الكلوب: حديدة مقوسة الرأس.

(٣) الشدق بالكسر: جانب الفم من باطن الخد.

(٤) الفهر: الحجر ملء الكف.

(٥) الشدخ: كسر الشيء.

(٦) تدهده: تدحرج.

فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فمه بحجر فرجع كما كان فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعد بي الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشبان، ثم صعدا بي فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل .. قلت: طوفتما بي الليلة أخبراني عما رأيت .. قالا: نعم: الذي رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به ذلك إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل و لم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة، وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر فآكل الربا، وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار فمالك خازن جهنم، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك .. فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة قالا: ذلك منـــزلك. قلت: دعاني أدخل منـــزلي قال: إنه بقى لك عمر لم تستكمله، فلو استكملته أتيت منـــزلك[1]». (رواه البخاري)

١٣ قصة التائب قاتل المائة

قال ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلّ على راهب. فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على

(١) وهذا الحديث دليلٌ على عذاب القبر والحياة البرزخية وذلك واضح منْ قوله «يُصنع به إلى يوم القيامة» فاعتبروا يا أولي الألباب «الناشر».

رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نَصفَ الطريقَ أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملَك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكماً. فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة». (متفق عليه)

وفي رواية في الصحيح «**فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فَجُعِلَ من أهلها**» وفي رواية في الصحيح «**فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقاربي وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له**».

ويؤخذ من هذا الحديث:

١- أن العابد بغير علم يضر نفسه وغيره.

٢- فيه قبول توبة القاتل عمداً وهو مذهب جمهور العلماء فهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا فقد قرره شرعنا قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ**﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ**﴾ وأما قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ...**﴾ [النساء: ٩٣] فمعناه أن جهنم جزاؤه وقد يجازي بها وقد يجازي بغيرها وقد يعفى عنه.

٣- وفيه مقاطعة إخوان السوء ما داموا على حالهم ومخالطة أهل الخير ومن ينتفع بصحبته.

٤- وفيه تحكيم الخصمين عند الخلاف من يفصل بينهما.

٥- وفيه أن الذنوب وإن عظمت فعفـــو الله أعظم وإن صدقت تـــوبته حقت رحمته[١].

١٤ الدعـــاء بصالح الأعمال

قال ﷺ: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: **إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم**. قال رجل منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق (لا أقدم في الشرب) قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طَلَبُ الشجر يوماً فلم أَرُحْ (أرجع) عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين. فكرهت أن أوقظهما. وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً. فلبثت — والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون (يصيحون من الجوع) عند قدمي — فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ. وفي رواية (كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء) فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنةٌ من السنين (المجدبة) فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها

(١) وفيه كذلك أن الجهل يساوي الموت وأن العلم هو الحياة الحقيقية يجي به العالم ويحيى به المجتمع
وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله .·. وليس لهم حتى النشورِ نشورُ «الناشر».

ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: اتقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه .. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهمَّ إنِّي استأجرت أجُراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فَثمَّرتُ أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري، فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي ! فقلت: لا أستهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

(رواه البخاري ومسلم)

ويستنبط من هذا الحديث:

١- استحباب الدعاء حال الكرب والشدة وأنه ينفع في دفع البلاء وجواز التوسل بصالح العمل.

٢- وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة.

٣- وفيه فضل العفاف أو الانكفاف عن المحرمات لا سيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها وترك ذلك لله خالصاً.

٤- وفيه جواز الإجارة بالطعام وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة.

٥- وفيه إثبات كرامة الأولياء وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها.

قـــال الإمام الخطابي: إنما تطوع بإعطائه هذا المال تقرباً إلى الله تعالى ولذا توسل به للخلاص ولم يكن يلزمه في الحكم أن يعطيه أكثر من القـــدر الذي استأجره عليه فلذا حُمِدَ فعله. والله أعلم. اهـ. شرح ابن علان على رياض الصالحين للإمام النووي.

فائدة:

قال الإمام ابن حجر: إن الروايات اختلفت فبعضها قدم ذكر المرأة ثم الأجير ثم الأبوين وبعضها عكس على أنحاء متعددة وفي ذلك دلالة على أن الرواية بالمعنى سائغة ولا أثر للتقديم أو التأخير في مثل ذلك.

فائدة أخرى:

صاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة وقد ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ولا سيما أنها ابنة عمه فتكون فيه صلة رحم وقد كان في سنة قحط فالحاجة إليه أشد.

١٥ قصة أصحاب الأخدود

قال ﷺ: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كَبُر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه وكان في طريقه إذا سلك راهب. فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه. وكان إذا أتى

الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني (أخرني) أهلي وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حَبستِ الناسَ فقـال: اليوم أَعلمُ الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: يا بني أنت اليوم أفضـل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتُليتَ فلا تدل عليَّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه (الأعمى) والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي اللهُ تعالى فإن آمنتَ بالله تعالى دعوتُ اللهَ فشفاك. فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى. فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رَدَّ عليك بصرك قال: ربي قال: أوَ لَكَ ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُك اللهُ. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك: يا بني قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمهَ والأبرصَ وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي اللهُ تعالى. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثُم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثُم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن

دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك فقال: كفانيهم الله تعالى ..

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور (سفينة) وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت(١) فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال للملك: إنك لَستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمعُ الناسَ في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خُذْ سهماً من كنانتي ثم ضَعِ السهمَ في كبد القوس ثم قل بسم اللهِ ربِ الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم اللهِ ربِ الغلام ثم رماه فوقع السهم في صُدغه فوضع يده في صدغه فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام. فَأتى الملكُ فقيل له أرأيت ما كنتَ تحذر قد والله نزل بك حَذُرك قد آمن الناس. فأمر بالأخدود (الشقوق) بأفواه السكك فخُدت (شقت) وأضرم(٢) فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها (ألقوا فيها) أو قيل له اقتحم ففعلوا. حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

(رواه مسلم)

---

(١) هذا الدعاء يقوله مَنْ خاف ظالماً «الناشر».

(٢) أضرم: أشعل «الناشر».

يُوخذ من الحديث:

١- عظم منــــزلة الصبر وإن عَظُم الألم به إلا أنه هين ويسير في جنب ما أُعد لصاحبه من ثواب دون حساب.

٢- وفيه فضل الثبات على الدين ولو عذب بأنواع العذاب كما وقع من بلال في أول الإسلام وهو أفضل من النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان.

٣- وفيه إثبات كرامات الأولياء كما حصل من الغلام مرات ومن الراهب ومن الطفل. وغيرها من الفوائد والله أعلم.

فائدة:

نظم الإمام السيوطي من تكلم في المهد وعددهم عشرة فقال:

تكلم في المهد النبيُ مـــحمدٌ ... ويحيى وعيسى والخليلُ ومريـــمُ
ومُبرئ جُريجٍ ثم شاهدُ يوسفَ ... وطفلٌ لدى الأخدودِ يرويه مسلمُ
وماشطةٌ في عهدِ فرعونَ طفلُها ... وفي زمن الهـــادي المباركِ يُختمُ

وزاد بعضهم:

وطفلٌ عليه مَـــرٌّ بالأمةِ التي ... يُقـــالُ لهـــا تزني ولا تَكلّـــمُ

وزاد بعضهم:

ونوحٌ ببطن الغارِ في يومِ وضعهِ ... وموسى من التنورِ والنارُ تَضرَّمُ

والله أعلم ...

١٦ عـاقبة الظـلـم

أ - خرج أحد الصيادين صبيحة يومه يطلب رزقاً حلالاً فرمى شبكته فلم يُخرجْ شيئاً فأخذ يبتهل إلى الله فأولاده يصرخون جوعاً في بيته واقتربت الشمس من المغيب فرزقه الله سمكة ضخمة فَحمِدَ اللهَ تعالى وأخذها مسروراً إلى بيته وإذا بملك قد خرج للنــزهة فرآه فأحضره وعلم ما معه فأعجبته السمكةُ فأخذها عَنوةً وذهب إلى قصره فأراد أن يُدخل سروراً على الملكة فأخرج السمكة أمامها فاستدارت السمكة وعضت أُصبعَه فلم يسترح ليلته و لم ينم فأحضر الأطباء فأشاروا بقطع أصبعه ولكنه لم يسترح بعدها لأن السم كان قد تسرب إلى يده فأشاروا بقطع يده ولكنه لم يسترح أيضاً بل أخذ يصرخ ويستغيث فأشاروا بقطع ذراعه فاستراح من الآلام الجسدية و لم تهدأ نفسُه فعلم الأمر فأشاروا عليه أن يذهب إلى طبيب من أطباء القلوب (العلماء الحكماء) فذهب وأخبره قصة السمكة فقال له: لن تهدأ إلا إذا عفا عنك الصياد فبحث الملك عن الصياد حتى وجده وشكى إليه أمره واستحلفه أن يصفح عنه فعفا عنه وصفح فقال له الملك: ماذا قلت فيّ؟ فقال: ما قلت سوى كلمة واحدة: «اللهم إنه أظهر عليّ قوته فأرني فيه قدرتك[1]».

ب- أمر أحد الظالمين المتكبرين أتباعَه باقتياد امرأة مظلومة والقبض عليها لتعذيبها والسخرية منها، فأمر بجرها فقالت له: اتق الله فلم يلتفت لها، وإنما أمر باستمرار جرها، و لم تزل تناشده الله أن يتركها ويتقي الله فيها، وهو يأمر بجرها،

---

(١) وصدق الصادق المصدوق ﷺ إذ يقول: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه «الناشر».

فلما يئست من نفسها، رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦] اللهم إن كان هذا الرجل يظلمني فخذه، فوقع الرجل في نفس اللحظة على ظهره ميتا !! وحُمل على جنازة وانصرفت المرأة سالمة.

١٧ قصة أويس القرني

تحدث رسول الله ﷺ عن أويس القرني دون أن يراه[١]، فقال: إنه من أهل اليمن، وإنه من بلدة قرن، ومن قبيلة مراد، مات أبوه ويعيش مع أمه وهو بها بار، مرض بالبرص فدعا الله فشفاه، وبقي من آثاره مثل الدرهم في ذراعيه، وإنه لسيد التابعين، ثم قال لعمر بن الخطاب: (**إن استطعت أن يستغفر لك فافعل**) فكان عمر حين أصبح أميراً للمؤمنين يسأل حجاج بيت الله في مواسم الحج: أمِنكم أويس القرني؟ فيقولون: نعم فيقول: كيف تركتموه؟ فيقولون دون أن يعرفوا منـــزلته: تركناه قليل المتاع، رثّ الثياب. فيقول لهم: ويحكم لقد حدث عنه رسول الله إن استطعتم أن يستغفر لكم فافعلوا. وكان عمر في كل عام ينتظر أويساً. وتصادف مرةً أنْ جاء مع حجاج اليمن، فلقيه عمرُ، فأراد أن يستوثق منه، فسأله: ما اسمك؟ قال: أويس. قال من أي بلاد اليمن؟ قال: من قرن. قال: من أي قبيلة فيها؟ قال من مراد. قال: كيف أبوك؟ قال: أما أبي فقد مات ولي أم تعيش معي. قال: وكيف حالك معها؟ قال أويس: أرجو أن أكون بها باراً. قال: هل مرضتَ قبل ذلك؟ قال: نعم. مرضت بالبرص فدعوتُ الله فشفاني. قال: هل بقي من أثره من

(١) وهذا ما يسمى في مصطلح الحديث مخضرم أي عاش في الجاهلية وفي حياة النبي ﷺ وآمن به ولم يره «الناشر».

شيء؟ قال: نعم في ذراعي أثره مثل الدرهم وكشف له عن ذراعه فلما رأى عمرُ ذلك اعتنقه وقال: أنت الذي حدث عنك رسولُ الله ﷺ. فاستغفر لي ! قال: أنا أستغفر لك يا أمير المؤمنين قال بلى: وما زال عمر يُلح عليه حتى استغفر له.

ثم سأل عمر أويس عن وجهته بعد موسم الحج. فقال: إني ذاهب إلى مراد من أهل اليمن إلى العراق. قال: أكتب إلي والي العراق عنك؟ قال: أقسمت عليك يا أمير المؤمنين ألا تفعل. دعني أسير في غبراء الناس لا يُؤَبهُ لي[1].

١٨ عـاقـبة العـقـوق

عن العوام بن حوشب رضي الله عنه قال: نزلتُ مرةً حياً وإلى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبرٌ فخرج رجلٌ رأسُه رأسُ حمارٍ وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوزٌ تغزل شعراً أو صوفاً فقالت لي امرأةٌ: ترى تلك العجوز قلت: مالها قالت: تلك أم هذا. قلت: وما كان قصته. قالت: كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمه: يا بني اتقِ الله إلى متى تشرب هذه الخمر. فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار. قالت: فمات بعد العصر. قالت: فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر.

١٩ قصة الظالم والمظلوم يوم القيامة

عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمتي

(١) أي لا يُلتفت إلي وهذا يدل على إخلاصه «الناشر».

جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله: كيف تصنعُ بأخيك و لم يبقَ من حسناته شيء قال: إن ذلك ليومٌ عظيمٌ يحتاج الناس أن يُحمل من أوزارهم. فقال الله للطالب: ارفع بصرَك فانظر. فرفع فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مكللةً باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صدِّيق هذا أو لأي شهيد هذا. قال: لمن أعطى الثمن. قال: يا ربِّ ومن يملك ذلك قال: أنت تملكه. قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال يا رب: إني قد عفوت عنه. قال الله: فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة». فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المسلمين**».

(رواه الحاكم والبيهقي في البعث وقال صحيح الإسناد)

٢٠ قصة العابد خمسمائة عام

عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «خرج من عندي خليلي جبريل آنفاً فقال: يا محمد والذي بعثك بالحق إن لله عبداً من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة بعرض الإصبع تفيض بماء عذب فيستقر في أسفل الجبل وشجرة رُمان تُخرجُ له في كل ليلة رُمَّانةً. يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته. فسأل ربه عند موته أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه الله وهو ساجد قال: ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا صعدنا فنجد له في العلم إنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول: رب بل بعملي. فيقول: أدخلوا

عبدي الجنة برحمتي. فيقول: رب بل بعملي. فيقول الله: قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله. فتُوجدُ نعمةُ البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعمةُ الجسد فضلاً عليه. فيقول: ردوه فيوقف بين يديه فيقول: يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً؟ فيقول: أنت يا رب. فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة. فيقول: أنت يا رب. فيقول: من أنزلك في جبل وسط اللُّجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة في السنة وسألته أن يقبضك ساجداً ففعل؟ فيقول: أنت يا رب. قال: فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة. أدخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الجنة».

(رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد)

٢١ شؤم النميمة

١- روى أن رجلاً رأى غلاماً يُباع وليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه فمكث عنده اياماً ثم قال لزوجة سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام خذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك فقالت: في نفسها نعم. وعزمت على ذلك إذا نام زوجها. ثم جاء زوجها وقال له: إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك وتريد أن تخلص منك. وقد عزمت على ذبحك الليلة وإن لم تصدقني فتظاهر بالنوم الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به وصدَّقه سيده. فلما جاء الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتظاهر بالنوم فقال في نفسه: والله لقد صدق الغلام فلما وضعت الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ

الموسى منها وذبحها به فجاء أهلها فوجدوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام(١).

٢- ثبت أن رجلاً دخل على عمر بن الخطاب فنم عنده عن رجل من أصحابه ونقل عنه القبيح إلى عمر وأوغر صدره عليه، فلما فرغ الرجل من وشايته طأطأ عمر رأسه كأنما يفكر في تلك الوشاية ثم رفعها وقال للرجل: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك ووقفنا على خبرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٥] وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ، هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١] وإن شئت عفونا عنك ولا تعد إلى مجلسنا بعد اليوم فلست من جلساء المؤمنين فتصاغر الرجل في نفسه وقال: أستعفيك يا أمير المؤمنين وأعدك ألا أعود إلى وشاية قط ثم خرج من مجلسه حزياناً خجولاً.

٣- بينما كان الصاحب بن عباد من أمراء الأندلس في مجلسه إذ دخل عليه حاجبه يحمل رقعة من رجل واقف بالباب فقرأها الصاحب بن عبّاد فإذا فيها كلام طويل يطلب كاتبه من الأمير أن يأخذ مالاً من يتيم ضعيف، فقد تركه أبوه في ميدان الحياة فريداً وحيداً وترك له أموالاً وبساتين فإن شاء الأمير وضع يده عليها فليس هنالك من يقاومه. فوَقَّعَ الأمير على تلك الرقعة بهذه الكلمات الخالدة:

إن النميمة قبيحة وإن كانت نصيحة صحيحة، أما الميت فرحمه الله وأما اليتيم فجبره الله. وأما المال فَثَمَّره الله، وأما النمام الساعي فلعنه الله.

---

(١) وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» وقد قيل من نمّ إليك نمّ عليك فالحذر الحذر «الناشر».

٢٢ قصة العابد وخطيئته وصدقته

قال ﷺ: «تعبد عابد من بني إسرائيل فعبد الله في صومعة ستين عاماً فأمطرت الأرض واخضرت فأشرف الراهب من صومعته فقال لو نزلت فذكرت الله فازددت خيراً فنـــزل ومعه رغيف - أو رغيفان - فبينما هو في الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ثم أغمى عليه فنـــزل الغدير يستحم فجاءه سائل فأومأ إليه أن يأخذ الرغيفين ثم مات فوُزِنَتْ عبادة ستين سنة بتلك الزنية فطاشت بحسناته ثم وضع الرغيف - أو الرغيفان - مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له».

(رواه ابن حبان وهو حديث صحيح)

٢٣ مثل القائم في حدود الله والواقع فيها

قال ﷺ: «مثل القـــائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قـــوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً و لم نُؤذِ مَنْ فوقنا. **فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نـــجوا ونـــجوا جميعاً**(١)».

(رواه البخاري)

---

(١) وذلك الحديث يدل على أهمية وخطورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن به نجاة المجتمع من الدمار وسعادته واستقراره ولا تستقيم الحياة إلا به فتأمل «الناشر».

٢٤ صلاح النفس

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم وقد كان من أطباء القلوب، وقال له: إني مسرف على نفسي فأعرض علي ما يكون زاجراً لها. فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة. فقال الرجل - وكان متشوقاً لسماع موعظته -: هات ما عندك يا إبراهيم. فقال: الأولى إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل شيئاً من رزقه. فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه. قال: لا، يا إبراهيم هات الثانية.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فلا تسكن بلاده فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله. فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه قال: لا، يا إبراهيم هات الثالثة: فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فانظر مكاناً لا يراك فيه فاعصه فيه قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر (يعلم السر وأخفى) ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه. قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة: فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني إلى أجل معدود. فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة. قال: نعم. هات الخامسة يا إبراهيم فقال: إذا جاءك الزبانية وهم ملائكة جهنم ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فما كاد الرجل يستمع

إلى هذه الخامسة حتى قال باكياً: كفى يا إبراهيم أنا أستغفرُ الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

٢٥ قصة صاحب الحديقة

قال ﷺ: «بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسقِ حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة (أرض ذات حجارة سوداء) فإذا شرجةٌ (هي مسيل الماء) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقة يُحوِّلُ الماء بمسحاته – فقال له: يا عبد الله ما اسمك قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه اسقِ حديقةَ فلان لاسمك فما تصنع فيها فقال: أمّا إذا قُلتَ هذا: فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكلُ أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه». (رواه مسلم)

٢٦ شجاعة غلام

بينما الحجاج بن يوسف الثقفي (وكان معروفاً بالظلم والقسوة والقتل) بينما كان جالساً في منظرة له وعنده وجوه أهل العراق أُتِيَ بصبي من الخوارج عليه له من العمر نحو بضع عشرة سنة فلما أدخل عليه لم يعبأ بالحجاج بن يوسف ولم يكترث به وإنما صار ينظر إلى بناء المنظرة وما فيها من العجائب ويلتفت يميناً وشمالاً ثم اندفع يقـول: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩]، وكان الحجاج متكئاً فاستوى في مقعده وقال: يا غلام إني أرى لك عقلاً وذهناً أحفظت القرآن؟ فقال الغلام: أو

خفت عليه من الضياع حتى أحفظه وقد حفظه الله تعالى ! قال الحجاج: أفجمعتَ القرآن؟ قال: أوَ كان مفرقاً حتى أجمعه ! قال الحجاج: أفأحكمتَ القرآن؟ قال الغلام: أليس الله أنزله محكماً ! قال الحجاج: أستظهرتَ القرآن؟ فقال الغلام: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري ! فقال الحجاج وقد ثار غضباً: ويلك قاتلك الله ماذا أقول؟ قال الغلام: الويل لك ولقومك: قل أوعيت القرآن في صدرك. فقال الحجاج: فاقرأ شيئاً من القرآن فاستفتح الغلام: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ (يخرجون) مِنْ دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ...﴾ فقال الحجاج: ويحك إنهم يدخلون ! فرد عليه الغلام قائلاً: كانوا يدخلون أما اليوم صاروا يخرجون. فقال الحجاج: ولماذا؟ قال الغلام: لسوء فعلك بهم. قال الحجاج: ويلك يا غلام ! هل تعرف من تخاطب؟ قال الغلام: نعم شيطان ثقيف الحجاج فقال الحجاج: ويلك ! من رباك. قال الغلام: الذي زرعني. قال الحجاج: فمن أمك؟ قال الغلام: التي ولدتني قال الحجاج: فأين ولدت؟ قال: في بعض الفلوات. قال الحجاج: أمجنون أنت فأعاجلك؟ قال: لو كنت مجنوناً لما وصلت إليك ووقفت بين يديك. وقال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين؟ قال الغلام: رحم الله أبا الحسن رضي الله عنه وأسكنه جنان خلده. قال الحجاج: ليس هذا ما عنيت إنما أعني عبد الملك بن مروان قال الغلام: على الفاسق الفاجر لعنة الله[1]. قال الحجاج: ويحك ! بم استحق اللعنة أمير المؤمنين؟ قال الغلام: أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض قال الحجاج: ما هي؟ قال الغلام: استعماله إياك على رعيته تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم ..

---

(١) لا يجوز تعيين شخص مسلم باللعنة ولكن نقول لعن الله آكل الربا مثلاً كما جاء في الحديث بلفظ العموم. (والله أعلم) «الناشر».

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: ما تشيرون في هذا الغلام؟ قالوا اسفك دمه فقد خلع الطاعة وفارق الجماعة. فقال الغلام: يا حجاج جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك حيث قالوا لفرعون عن موسى وأخيه: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] وهؤلاء يأمرون بقتلي إذن والله تقوم عليك الحُجة بين يدي الله ملك الجبارين ومُذل المستكبرين فقال له الحجاج: هذب ألفاظك وقصر لسانك فإني أخاف عليك بادرة الأمر وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم. فقال الغلام: لا حاجة لي بها بيض الله وجهك وأعلى كعبك؟ فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: هل علمتم ما أراد بقوله بَيضَّ الله وجهك وأعلى كعبك؟ قالوا: الأمير أعلم: فقال الحجاج: أراد بقوله بيض الله وجهك العمى والبرص وبقوله أعلى كعبك: التعليق والصلب. ثم التفت إلى الغلام وقال له: ما تقول فيما قلت: قال الغلام: قاتلك الله ما أفهمك: فامتزج الحجاج غضباً وأمر بقتله وكان الرقاشي حاضراً فقال: أصلح الله الأمير هبه لي. قال: هو لك لا بارك الله لك فيه. فقال الغلام: والله لا أدري أيكما أحمق من صاحبه الواهب أجلاً قد حضر أم المستوهب أجلاً لم يحضر؟ فقال الرقاشي: استنقذتك من القتل وتكافئني بهذا الكلام. فقال الغلام: هنيئاً لي الشهادة إن أدركتني السعادة والله إن القتل في سبيل الله أحبُ إليَّ من أن أرجع إلى أهلي صفر اليدين. فأمر له الحجاج بجائزة وقال يا غلام: قد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعفونا عنك لحداثة سنك وصفاء ذهنك وحسن توكلك على الله وإياك والجرأة على أرباب الأمر فتقع مع من لا يعفو عنك. فقال الغلام: العفو بيد الله لا بيدك والشكر له لا لك ولا جمع الله بيني وبينك ثم هم بالخروج فابتدره الغلمان فقال لهم الحجاج: دعوه فوالله ما رأيت أشجع منه قلباً ولا أفصح منه لساناً ولعمري ما وجدت مثله أبداً وعسى هو لا يجد مثلي فإن عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصره. «قيل إنه أمر بعض رجاله بأن يدس له السم فقتله».

٢٧ من نوادر النحـاة

• قال رجل نحوي لابنه: إذا أردت أن تتكلم بشيء فأعرضه على عقلك وفكر فيه بجهدك حتى تقومه ثم أخرج الكلمة مقومة. فبينما هما جالسان في الشتاء والنار مشتعلة وقعت شرارة في جبته وهو غافل عنها والابن يراه فسكت ساعة يفكر ثم قال: يا أبت أريد أن أقول لك شيئاً: أفتأذن لي فيه؟ قال أبوه: إن كان حقاً فتكلم. قال أراه حقاً. فقال: قل. قال: إني أرى شيئاً أحمر على جبتك قال: ما هو؟ قال: شرارة وقعت على جبتك. فنظر أبوه إلى جبته وقد احترق منها جزء كبير فقال للابن: لماذا لم تعلمني به سريعاً؟ قال: فكرت فيه كما أمرتني ثم قومت الكلام وتكلمت به. فنهره وقال له: لا تتكلم بالنحو أبداً.

• قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بني إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويحب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة فبقى الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة فلما كان في اليوم الثالث قال أبوه: ما فعلت؟ قال: قد حفظتها قال: وما هي؟ قال اسمع: الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح. فقال له أبوه: أمسك لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء[1].

• وقف بعض الفقراء على باب نحوي فطرق الباب فقال النحوي: من بالباب؟ فقال: سائل. فقال: ينصرف. فقال: اسمي أحمد (يعني لا ينصرف ممنوع من الصرف). فقال النحوي لغلامه: أعطِ سيبويه كِسرةً.

---

(١) أرى حذف هذه الفقرة خشية الاستهزاء بشيء من الشرع «الناشر».

• وقع نحوي في كنيف فجاء كناس ليخرجه ونادى عليه ليعلم أهو حي أم لا؟ فقال النحوي: اطلب لي حبلاً دقيقاً وشدني شداً وثيقاً واجذبني جذباً رفيقاً. فقال الكناس ثكلتني أمي إن أخرجتك منه.

• دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال: إني أكلت من لحوم الجوازي وطسئت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة إلى دأية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء؟ قال الطبيب: نعم. خذ خونقاً وسربقاً ورقرقاً فاغسله واشربه بماء فقال أبو علقمة: لا أدري ما تقول. فقال الطبيب: ولا أنا دريتُ ما قلتَ.

• قال رجل للحسن ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه فقال الرجل للحسن: أراني كلما كلمتك خالفتني.

• وقدم على أبي علقمة النحوي ابن أخ له فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات. قال: وما كانت علته؟ قال: ورمت قدميه. قال: قل قدماه. قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه قال: قل ركبتيه فقال: دعني يا عم فما موت أبي بأشد عليَّ من نحوك هذا.

• ولقى رجلاً من أهل الأدب وأراد أن يسأله عن أخيه وخاف أن يلحن في اللغة فقال: أخاك أخوك أخيك هاهنا؟ فقال الرجل: لا. لي. لو ما هو حضر.

• قال رجل لرجل: قد عرفت النحو إلا أني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان. فقال له: هذا – أسهل الأشياء في النحو. إنما يقولون: أبا فلان لمن عظم قدره وأبو فلان للمتوسطين وأبي فلان للرذلة.

• ووقف نحوي على صاحب بطيخ فقال بكم تلك وذانك الفاردة؟ فنظر يميناً وشمالاً ثم قال اعذرني فما عندي شيء يصلح للصفع.

• دخل أحد النحويين السوق ليشتري حماراً فقال للبائع: أريد حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر إن أقللت علفه صبر وإن أكثرت علفه شكر لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري إذا خلا في الطريق تدفق وإذا كثر الزحام ترفق فقال له البائع: بعد أن نظر إليه ساعة دعني إذا مسخ الله القاضي حماراً بعته لك.

• زار بعضهم نحوياً مريضاً فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الأعضاء واهية والعظام بالية فقـــال له: لا شفاك الله بعافية ويا ليتها كانت القاضية.

• كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فمرض أبوه مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك أخانا فلاناً النحوي؟ قال: لا إن جاءني قتلني، فقالوا: نوصيه أن لا يتكلم فلما دخل عليه قال: يا أبت والله ما أشغلني عنك إلا فلان فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس واستبزج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوذج وافلوزج. فصاح أبوه: غمضوني فقد سبق الشقي ملك الموت إلى قبض روحي.

٢٨ نوادر ولطائف وطرائف

١- دخل عمران بن حطان يوماً على امرأته، وكان عمران قبيح الشكل ذميماً قصيراً وكانت امرأته حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسناً

فلم يتمالك أن يديم النظر إليها فقالت: ما شأنك؟ قال: الحمد لله لقد أصبحت والله جميلة. فقالت له: أبشر فإني وإياك في جنة !! قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أُعطيت مثلي فشكرت. وأنا ابتُليت بمثلك فصبرت والصابر والشاكر في الجنة[1].

٢- قيل لأشعب: قد صرت شيخاً كبيراً، وبلغت هذا المبلغ ولم تحفظ من الحديث شيئاً؟ فقال: بل والله ما سمع أحد عكرمة مثل ما سمعت قالوا: حَدِّثنا، قال: سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «**خلتان لا يجتمعان في مسلم**» نسي عكرمة واحدة، ونسيت أنا الأخرى.

٣- سُئلت امرأة مؤمنة عن أدوات تجميلها. فقالت: أستخدم الصدق لشفتي، والقرآن لصوتي، والرحمة والشفقة لعيني، والإحسان ليدي، والإستقامة لقوامي، والإخلاص لله لقلبي.

٤- قال هارون الرشيد لأبي يوسف القاضي: ما تقول في الفالوذج واللوزنج أيهما طعمه أطيب وأحلى؟ فقال القاضي: يا أمير المؤمنين لا أقضي أو أحكم بين غائبين عني، فأمر الرشيد بإحضارهما فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى أكل نصفهما ثم قال: يا أمير المؤمنين ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أدلى الآخر بحجته.

٥- كان رجل في دار بأجرة، وكان خشب السقف قديماً بالياً فكان يتفرقع كثيراً، فلما جاء صاحب الدار يطالبه بالأجرة. قال له: أصلح هذا السقف فإنه

---

(١) من عقيدة أهل السنة والجماعة «لا نقطع لأحد بجنة أو نار ولكن نرجو للمحسن الثواب ونخاف على المسيء العقاب وإنما الأعمال بالخواتيم» «الناشر».

يتفرقع. قال: لا تخفْ ولا بأس عليك فإنه يسبح الله. فقال الرجل: أخشى أن تدركه الخشية فيسجد.

٦- وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم. فقال أحدهم: اسمي وثيق، وقال الآخر: اسمي منيع، وقال الآخر: اسمي ثابت وقال الرابع: اسمي شديد. فقال الأعرابي: ما أظن الأقفال عُملت إلا من أسمائكم.

٧- قـــال الأصمعي: دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعـــل (زوج) قبيح. فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثـــل هذا؟ فقالت: اسمع يا هذا. لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه، ولعلي أســـأت فجعله عقوبتي.

٨- قال ابن السماك الزاهد لهارون الرشيد، وقد دعا بحضرته بقدح ماء ليشربه: يا أمير المؤمنين: لو مُنعت منك هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟ فقال الرشيد: بملكي كله.

قال ابن السماك: يا أمير المؤمنين: فلو منعت خروجها منك (لم تتبول) فبكم كنت ترضي أن تفتدي نفسك؟ قال: بملكي كله.

قال ابن السماك: يا أمير المؤمنين لا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة.

٩- دخل أحد الأعراب بلدة والصبيان يلعبون، وكانوا يرمونه بالأحجار فوقع حجر على رأسه فشجه وجرحه. فذهب لأمير البلد يشكو. فقال له: في أي يوم دخلت؟ قال الأعرابي: في ساعة العُسرة. فقال: فأين نزلت؟ قال: بوادٍ غير ذي زرع. فضحك الأمير وأنعم عليه.

١٠-استأذن رجل على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ليريه مهارته في ألعابه فأذن له. فأخذ الرجل عدداً كبيراً من الصحاف، وجعل يتقاذفها في الهواء في مهارة عجيبة دون أن يقع منها شيء على الأرض. قال أبو جعفر ثم ماذا؟ فأخرج عدداً كبيراً من العصى في طرف كل منها مكان لتركيب الأخرى، ثم رمى العصى الأولى فرشقت في الجدار، فرمى الثانية فدخلت في ثقب الأولى .. وهكذا مائة عصا لم يقع منها شيء على الأرض. ولما انتهى من ألعابه، توقع أن يكافئه أمير المؤمنين على مهارته، ولكن المنصور نادى على جلاديه وقال: خذوا هذا الرجل وأعطوه (١٠٠) جلدة فصاح الرجـــل: لماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنك ضيعت وقت المسلمين فيما لا يفيدهم.

١١-قيل لحكيم: أي الأشياء خير للمرء؟ قال: عقل يعيش به. قيل: فإن لم يكن. قال: فإخوان يسترون عليه. قيل: فإن لم يكن. قال: فمال يتحبب به إلى الناس. قيل فإن لم يكن. قال: فأدب يتحلى به. قيل: فإن لم يكن. قال: فصمت يسلم به. قيل: فإن لم يكن. قال: فموت يريح منه العباد والبلاد.

١٢-كان الحجاج بن يوسف الثقفي (الطاغية) يستحم بالخليج الفارسي فأشرف على الغرق. فأنقذه أحد المسلمين، وعندما حمله إلى البر، قال له الحجاج: أُطلب ما تشاء فطلبك مُجاب. فقـــال الرجل له: ومن أنت حتى تجيب لي أي طلب. قال: أنا الحجاج الثقفي. قال له: طلبي الوحيد أنني سألتك بالله أن لا تخبر أحداً أنني أنقذتك.

١٣-روى أن أعرابياً سأل أهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا الحسين: قال بم سادكم؟ قالوا احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم.

١٤- قيل لأحد الصالحين: إني أشكو من مرض البعد عن الله فما العلاج؟ فقال العبد الصالح للسائل: يا هذا: عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع ضع هذا في إناء التقوى وصُبَّ عليه ماء الخشية، وأوقد عليه بنار الحزن، وضعه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وأبعد نفسك عن الحرص والطمع تُشفى من مرضك بإذن الله.

١٥- رأى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رجلاً مهموماً فقال له أيها الرجل: إني سائلك عن ثلاث. فأجبني. قال الرجل: نعم. فقال له إبراهيم: أيجرى في هذا الكون شيء لا يريده الله. قال: كلا. قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدره الله. قال: كلا. فقال له إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة. قال: كلا. فقال له إبراهيم: فعلام الهم إذن؟

١٦- قال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهلَ قومِك حين مَلَّكُوا عليهم امرأة !! فقال الرجل لمعاوية: أجهلُ من قومي قومُك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى عبادة الرحمن: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] و لم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

١٧- سُئل أحد العلماء وهو على المنبر عن مسألة. فقال: لا أدري. فقيل له: ليس المنبر موضع جهل. فقال: إنما علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء.

١٨- جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله فقال: ما سر زهدك في الدنيا يا إمام؟

فقال: أربعة أشياء: علمت أن رزقي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمت أن الله مُطلع عليَّ فاستحييت أن يراني على معصية.

وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي.

١٩- دخل أشعب على جماعة وهم يأكلون وهم غرباء لم يعرفوه فقال لهم: السلام عليكم معشر اللئام. فرفعوا إليه أبصارهم قائلين: لا والله كرام. فثنى رجله في الحال وجلس بينهم وهو يقول: اللهم اجعلهم من الصادقين، واجعلني من الكاذبين ثم مد يده في القصعة التي بين أيديهم وهو يقول: ماذا تأكلون؟ فقالوا: نأكل سُماً. فحشا فمه من الأكل، وهو يقول: الحياة من بعدكم حرام. فقالوا: أيها الرجل هل عرفت منا أحداً؟ فأشار أشعب إلى الطعام وقال: عرفت هذا.

٢٠- سأل مسكين أعرابياً أن يعطيه حاجة، فقال: ليس عندي ما أعطيه للغير فالذي عندي أنا أحق الناس به. فقال السائل: أين الذين يؤثرون على أنفسهم؟ فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

٢١- قيل لبعض الأغبياء - وكان يبتعد عن الغيبة - ما رأيك في إبليس؟

فقال: أسمع الكلام عليه كثيراً، والله أعلم بسريرته.

٢٢- خرج رجل للجهاد في سبيل الله، وترك زوجته وأولاده، وإذا ببعض النسوة من ضعاف الإيمان يقلن للزوجة: أيتها الأم المسكينة من يقوم على عيالك، ويرعى أولادك إذا قدر الله على زوجك الموت وكتب له الشهادة؟!! فما كان من هذه المرأة المؤمنة إلا أن صرخت فيهن قائلةً في ثقة وإيمان واطمئنان (إني أعرف زوجي أكّالاً، و لم أعرفه رزّاقاً، فإذا مات الأكّال بقي الرزاق).

٢٣-وقف أبو الدرداء ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه: أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد، قالوا: نعم. قال فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون. فقالوا: دلنا على زاده، قال: حجوا حجة لعظائم الأمور وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور.

٢٤-كان الجاحظ الكاتب والأديب العربي المشهور قبيح الوجه لكنه كان مرحاً يسخر حتى من شكله. وقد حكى الجاحظ عن نفسه فقال: كنت أقف على باب داري، فاقتربتْ ناحيتي امرأةٌ وقالت: أنا في حاجة إليك وأريد أن تمشي معي لقضاء هذه الحاجة !! قال الجاحظ: فقمت معها حتى وصلنا إلى دكان صائغ وقالت له: مثل هذا وأشارتْ إليَّ ثم تركتني وانصرفت، فسألت الصائغ ماذا تقصد بقولها؟ فقـــال: لقد أحضرت ليَّ فص خاتم وطلبت مني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت لها: يا سيدتي، ما رأيت شيطاناً قط فجـــاءت بك، وقالت ما سمعت.

٢٥-مر عصام بن يوسف على حاتم الأصم، في مجلسه. فقال: يا حاتم تُحسن تصلي؟ قال: نعم. قال: كيف تصلي؟ قال حاتم الأصم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية وأدخل بالنية، وأكبِّرُ بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل الله مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت، قال: تكلم فأنت تحسن تصلي.

٢٦-أفلتت من خطيب وهو يخطب الناس يوم الجمعة ريح. فقال: أيها الناس: إن الله خلق أبداناً وجعل فيها أرواحاً فمتى يتمالك الناس أن تخرج منهم؟ فقام رجل

فقال: أما بعد فإن خروج الأرواح في مراحيض سُنة وعلى المنابر بدعة، وأستغفر الله لي ولكم[١].

٢٧- خرج جحا إلى السوق ليشتري حماراً فلقيه صديق له، فسأله أين تذهب؟ فقال جحا: إلى السوق لأشتري حماراً، فقال له صديقه: قل إن شاء الله. فقال جحا: ليس هذا موضعها الدارهم في جيبي والحمير في السوق. فبينما هو في السوق إذ سُرقت منه الدراهم فرجع خائباً فقال له صديقه: أين الحمار يا جحا؟ فقال: الدارهم سُرقت إن شاء الله.

٢٨- نظر أحد المغفلين في البئر فرأى وجهه فعاد إلى أمه فقال: يا أمي في البئر لص، فجاءت الأم فنظرت في البئر فقالت: إي والله لص ومعه فاجرة.

٢٩- قال رجل لهشام القوطي: كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأكثر قال: لم أردْ هذا. قال: فما أردت؟ قال: كمَ تُعد من السن؟ قال: اثنين وثلاثين ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال: لم أردْ ولم أقصد هذا. قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنين؟ قال: مالي منها شيء كلها لله عز وجل. قال: فما سِنك؟ قال: عظم. قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين أب وأم. قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليَّ شيء لقتلني. قال: فكيف أقول؟ قال: قل كم مضى من عمرك؟

٣٠- حُكي أن رجلاً عزم جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما، فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فقال:

---

(١) نرى حذف هذه الفقرة لأن استخدام اصطلاح السنة والبدعة له أدلته وفعل المباح لا يسمى سنة وخروج الريح اضطراراً على المنبر ليس بدعة بل ينزل ويتوضأ ثم يصعدُ ويتم الخطبة «الناشر».

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عهدي والخليلُ يخــونُ

فواعجباً للخلِ يهتكُ حرمتي وواعجباً للكلب كيفَ يصونُ

٣١-كان عمر بن الخطاب يُكلم رجلاً فقال له: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال عمر: ابنُ من؟ قال: ابن شهاب. قال عمر: ممن أنت؟ قال: من الحُرقة، فقال عمر: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأي منها؟ قال بذات لظى. فقال عمر: أدركْ أهلَك فقد احترقوا. فأسرع الرجل إلى داره فكان كما قال عمر رضي الله عنه.

٣٢-قال الأصمعي: قلت لغلام من أبناء العرب: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وإنك أحمق قال: لا والله. قلت: ولِمَ؟ قال: أخاف أن يجنى عليَّ حمقى جناية، فيذهب مالي، ويبقى على حمقى.

٣٣-قال حكيم: اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك ويسلم لك عرضك ودينك:

١- لا تحزن على ما فاتك.

٢- ولا تحمل هَمَّ ما لم ينـــزل.

٣- ولا تَلُم الناس على ما فيك مثله.

٤- ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل.

٥- ولا تنظر بشهوة إلى ما لم تملك.

٦- ولا تغضب على من لم يضره غضبك.

٧- ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك.

٣٤- قال عمر بن الخطاب: ما من مصيبة تصيبني إلا رأيت خلالها ثلاث فوائد قد أنعم الله بها علي **الأولى: أن** هذه المصيبة لم تكن في ديني فإن المصيبة إن كانت في الدين كانت بلية عظيمة ربما يخسر الإنسان بها نفسه دنياه وآخرته **الثانية: أن** هذه المصيبة لم تكن أكبر من ذلك، فما من مصيبة إلا ولها أكبر منها **الثالثة:** أن الله رزقني الصبر عليها فإن الصبر والاحتساب هما صمام الأمن الذي يخفف الله به هذه المصيبة عند وقوعها.

٣٥- قال ابن خلكان: بلغنا من جماعة يوثق بهم أن عندهم قرية يقال لها دير أبي سلامة، كان بها رجل من العربان فيه استهتار زائد وجهل، فجرى يوماً ذِكرُ السواك وما فيه من الفضيلة. فقال: والله ما أستاك إلا من المخرج (الدبر) فأخذ سواكاً وتركه في دبره، فآلمه تلك الليلة ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج ثم أصابه مثل طلق الحامل، ووضع حيواناً على هيئة الجرذون ورأسه مثل رأس السمكة وله أربع أنياب بارزة وذنب طويل وأربع أصابع وله دبر مثل دبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات وعاش ذلك الرجل بعده يومين وهو يقول هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من تلك الناحية وخطيب المكان عام ٦٦٥ هـ.

٣٦- نظر رجل طفيلي إلى قوم ذاهبين فاعتقد أنهم في دعوة إلى وليمة، فقام وتبعهم، فإذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد شعره وأخذ جائزته لم يبق إلا الطفيلي وهو جالس ساكت، فقيل له: أنشد شعرك. فقال: لست بشاعر قيل: فمن أنت؟ قال: من الغاوين الذين قال الله فيهم ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٤] فضحك السلطان من رده وأمر له بجائزة.

٣٧-دخل الأقرع بن حابس على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فوجده يلعب مع صبيانه، وهم متعلقون بذراعه وفوق ظهره، فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ أهكذا تفعلون مع أولادكم؟ فتنبه عمر وسأله: وأنت يا أقرع ماذا تفعل في بيتك؟ قال: أما أنا فإذا دخلت بيتي جلس الواقف، وسكت المتكلم، واعتدل النائم وإن لي عشرة أولاد ما قَبَّلتُ واحداً منهم. فقال عمر: إذن أنت لا تصلح أن تكون والياً للمسلمين، وأمر به فعُزل.

٢٩ قصة الشافعي مع الحاقدين

يُحْكَى أنَّ بَعْضَ فَطَاحِل العُلماء في العراق كانوا يحقدون على الإمام الشافعي رضي الله عنه ويكيدون له لأنه كان متفوقاً عليهم في العلم والحكمة وكان متربعاً على قلوب أكثر طلاب العلم والمعرفة الذين أصبحوا لا يحرصون إلا على مجلسه ولا يقتنعون إلا برأيه وعلمه ولهذا اتفق هؤلاء الحاقدين على الإمام الشافعي فيما بينهم على تحضير بعض الأسئلة المعقدة وفي أسلوب الألغاز حتى يختبروا بها ذكاء الشافعي ومقدار تضلعه وإدراكه أمام الخليفة الرشيد الذي كان يحب الشافعي ويثني عليه كثيراً. وبعد أن وضعوا الأسئلة أخبروا الخليفة الذي حضر المناظرة واستمع إلى الأسئلة التي أجاب عليها الإمام الشافعي رضي الله عنه بكل ذكاء وفصاحة وكانت على النحو الآتي:

س ١ : ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ثم خرج لحاجة وعاد فقال لأهله: كلوا أنتم الشاة فقد حُرمت عليَّ فقال أهله: علينا كذلك؟

جـ ١ : إن هـذا الرجل كان مشركاً فذبح الشـاة على اسم الأنصاب وخرج من منـزله لبعض المهمات فهـداه الله تعالى إلى الإسـلام وأسلم فحرمت عليه الشاة وعندما علم أهله بإسلامه أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهم الشاة كذلك.

س ٢ : شرب مسلمان عاقـلان الخمر يُحَدُّ أحدهما (يقـام عليه الحد) ولا يحد الآخر؟

جـ ٢ : إن أحدهما كان بالغاً والآخر كان صبياً.

س ٣ : زنا خمسة نفر بامرأة فوجب على أولهم القتل وثانيهم الرجم وثالثهم الحد ورابعهم نصف الحد وخامسهم لا شيء عليه؟

جـ ٣ : استحل الأول الزنا فصار مرتداً فوجب عليه القتل، والثاني كان محصنا، والثالث كان غير محصن، والرابع كان عبداً، والخامس كان مجنوناً.

س ٤ : رجل صلى ولما سلم عن يمينه طلقت زوجته ولما سلم عن يساره بطلت صلاته ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم؟

جـ ٤ : لما سلم عن يمينه رأى شخصاً تزوج هو (المصلي) امرأته في غيبته فلما رآه حضر طلقت زوجته منه ولما نظر عن يساره رأى في ثوبه نجاسة فبطلت صلاته[1] ولما نظر إلى السماء رأى الهلال وقد ظهر في السماء وكان عليه دينٌ ألفُ درهم يستحق سداده في أول الشهر من ظهور الهلال.

---

(١) من صلى وعليه نجاسة و لم يذكرها حتى قضى صلاته، صلاته صحيحة وليست باطلة كما حقق ذلك ابن القيم وغيره وليس هذا المحل موضع تفصيل «الناشر».

س ٥ : كان إمام يصلي مع أربعة نفر في مسجد فدخل عليهم رجل وصلى عن يمين الإمام فلما سلم الإمام عن يمينه ورأى الرجل وجب على الإمام القتل وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد إلى أساسه؟

جـ ٥ : إن الرجل القادم كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه فقتل الإمام هذا الأخ وادَّعى أن المرأة زوجة المقتول فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون وأن المسجد كان بيتاً للمقتول فجعله الإمام مسجداً.

س ٦ : ما قولك في رجل هرب له غلام (مملوك) فقال: هو حر إن أكلت طعاماً حتى أجده فكيف المخرج له عما قال؟

جـ ٦ : يهب الغلام لبعض أولاده ثم يأكل ثم بعد ذلك يسترد ما وهب.

س ٧ : لقي امرأتان غلامين فقالتا: مرحبا يا بنينا وزوجينا وابنَي زوجينا؟

جـ ٧ : إن الغلامين كانا ابني المرأتين فتزوجت كل واحدة منهما بابن صاحبتها فكان الغلامين ابنيهما وزوجيهما وابني زوجيهما.

س ٨ : أخذ رجل قدح ماء ليشرب فشرب نصفه حلال وحَرُمَ عليه بقية ما في القدح؟

جـ ٨ : إن الرجل شرب نصف القدح ورَعَف[1] في الماء الباقي في القدح فاختلط الدم بالماء فصار محرماً عليه.

---

(١) أي نزف دماً «الناشر».

س ٩ : أعطى رجل لامرأته كيساً مملوءاً مختوماً وطلب إليها أن تفرغ ما فيه بشرط ألا تفتحه أو تفتقه أو تكسر ختمه أو تحرقه وهي إن فعلت شيئاً من ذلك فهي طالق؟

جـ ٩ : إن الكيس كان مملوءاً بالسكر أو الملح وما على المرأة إلا أن تضعه في الماء فيذوب ما فيه.

س ١٠ : رأى رجل وامرأة غلامين في الطريق فقبلاهما ولما سُئلا في ذلك قال الرجل: أبي جدهما وأخي عمهما وزوجتي امرأة أبيهما. وقالت: المرأة: أمي جدتهما وأختي خالتهما؟

جـ ١٠ : إن الرجل أبٌ للغلامين والمرأة أمهما.

س ١١ : كان رجلان فوق سطح منــزل فسقط أحدهما فمات فحرمت على الآخر امرأته؟

جـ ١١ : إن الرجل الذي سقط فمات كان مزوجاً ابنته من عبده الذي كان معه فوق السطوح فلما مات الرجل أصبحت البنت تملك ذلك العبد الذي هو زوجها فحرمت عليه.

إلى هنا لم يستطع الرشيد الذي كان حاضراً تلك المساجلة إخفاء إعجابه من ذكاء الشافعي وسرعة خاطرته وجودة فهمه وحسن إدراكه وقال لله در بني عبد مناف فقد بينت فأحسنت وفسرت فأبلغت وعبرت فأفصحت. فقال الشافعي: أطال الله عمر أمير المؤمنين إني سائل هؤلاء العلماء في مسألة فإن أجابوا عليها فالحمد لله وإلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عني شرهم. فقال الرشيد: لك ذلك

وسلهم ما تريد يا شافعي فقال الشافعي: مات رجل عن (٦٠٠) درهم فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهماً واحداً فكيف كان الظرف في توزيع التركة؟

فنظر العلماء بعضهم إلى بعض طويلاً و لم يستطع أحدهم الإجابة على السؤال وأخذ العرق يهطل من جباههم ولما طال بهم السكوت قال الخليفة: قل لهم الجواب. فقال الشافعي بعد أن تورط هؤلاء الذين أرادوا أن يُفقدُوه مكانته عند الخليفة الذي كان يحبه حباً جماً لعلمه وتقواه. قال: مات هذا الرجل عن ابنتين وأم وزوجة واثنى عشر أخاً وأخت واحدة. فأخذت البنتان الثلثين وهو (٤٠٠) درهم وأخذت الأم السدس وهو (١٠٠) درهم وأخذت الزوجة الثمن وهو (٧٥) درهم وأخذ الاثنا عشر أخا (٢٤) درهم فبقي درهم واحد للأخت. فتبسم الرشيد وقال: أكثر الله في أهلي منك. وأمر له بألفي درهم فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر وحاشيته.

٣٠ فـــرج الله

أ - رُوى أن حاتم الأصم قال لأولاده: إني أريد الحج فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا[١]. وكان له بنت فقالت: دعوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعاً فجعلوا يوبخون تلك البنت فقالت: اللهم لا تخجلني بينهم فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لي ماء. فناوله أهل حاتم كوزاً جديداً وماءً بارداً فشرب فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم. فرمى فيها مَنَطقةً[٢] من

(١) تكلنا: تتركنا.

(٢) أي حزام كان يتمنطق به في وسطه «الناشر».

ذهب وقال: من أحبني وافقني. فرمى العسكر ما معهم من المال في هذا الإناء فجعلت البنت تبكي فقالت: أمها ما يبكيك وقد وَسَّع اللهُ علينا. فقالت:لأن مخلوقاً نظر إلينا فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا؟

ب- قـــال ابن عباد الصيرفي البغدادي: بينما أنا نائم إذ قيل لي في المنام: يا عباد قُم فأغثِ الملهوفَ. فقلت: وأين هو؟ فقيل لي: اركب دابتك فهو حيثما وقفت. قال: فانتبهت من نومي وركبت دابتي وجعلت أتخلل أزقةَ بغداد حتى انتهيت إلى مسجد فوقفت الدابة ونزلت عنها ودخلت المسجد فإذا برجل مستقبل القبلة فسلمت عليه وقلت: ما قضيتك؟ قـــال: إني رجل ذو عيال ولم يكن عندهم الليلة شيء فجلست هاهنا وطلبت من الله الفرج. قـــال: فأعطيته مائة دينار وقلت له: أنا ابن عباد الصيرفي فإذا احتجت إلى شيء فائتني. فقـــال: سبحان الله أترك الذي أقامك من فراشك وأتى بك إليَّ في ظلمة الليل وأذهب إلى غيره. فودعته وانصرفت.

٣١ قصة عمر بن عبد العزيز مع نفسه التواقة

● قال رجاء بن حيوة (وزير عمر بن عبد العزيز المخلص): كنت مع عمر بن عبد العزيز لما كان والياً على المدينة. فأرسلني لأشتري له ثوباً. فاشتريته له **بخمسمائة درهم** فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه رخيص الثمن !.

فلّما صار خليفة للمسلمين. بعثني لأشتري له ثوباً فاشتريته له **بخمسة دراهم !** فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالي الثمن !.

قال رجاء: فلما سمعت كلامه بكيت.

فقال لي عمر: ما يبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات وما قلت عنه. فكشف عمر لرجاء بن حيوة سر هذا الموقف. وقال: يا رجاء إن لي نفساً تواقة(١)، وما حققت شيئاً إلا تاقت لما هو أعلى منه. تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها. ثم تاقت نفسي إلى الإمارة فوليتها وتاقت نفسي إلى الخلافة فنلتها. والآن يا رجاء تاقت نفسي إلى الجنة. فأرجو أن أكون من أهلها.

● بلغ عمرَ بن عبد العزيز أن أحد أبنائه اتخذ خاتماً، واتخذ له فصاً بألف درهم فكتب إليه: بلغني أنك اشتريت فصاً لخاتمك بألف درهم، فبعه، وأشبع بثمنه ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد واكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

٣٢ قصة بيع الأمراء وعز العلماء

١- كان الشيخ الجليل عز الدين بن عبد السلام قد تولى منصب قاضي القضاة وما إن تولى هذا المنصب حتى لاحظ أن أمراء البلاد وقادة الجيش ليسوا من أهل مصر وليسوا أحراراً على الإطلاق بل هم مجلوبون اشتراهم السلطان من بيت المال وهم صغار فتعلموا اللغة العربية وعلوم الدين والفروسية والحرب وعندما شبوا عينهم في مناصبهم فهم أمراء مماليك عبيد إذن فليس لهم حقوق الأحرار ولهذا فليس لهم أن يتزوجوا بحرائر النساء وليس لهم أن يبيعوا أو يشتروا أو يتصرفوا إلا كما يتصرف العبيد. فبلغ الأمراء ذلك فعظم الخطب فيه واحتدم واشتد الأمر والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً وتعطلت مصالحهم بذلك.

---

(١) تواقة: مشتاقة ومتطلعة «الناشر».

وكان منهم نائب السلطان فاستشاط غضباً فاجتمعوا وأرسلوا إليه فقالوا له: ماذا تريد؟ فقال الشيخ: نعقد لكم مجلساً وينادي عليكم للبيع لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعي. فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث السلطان إليه فلم يرجع عن قوله. فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة. فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمير أخرى ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة قاصداً الشام فلم يصل إلى نحو نصف ما يريد حتى لحقه غالب المسلمين لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل يتخلف ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار فبلغ السلطان الخبر وقيل له: متى راح الشيخ ذهب ملكك فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطَيَّبَ خاطره فرجع الشيخ واتفق على أنه ينادي على الأمراء لبيعهم .. فأرسل إليه نائب السلطان بالملاطفة فلم يقبل الشيخ و لم تُفد الملاطفة معه فانزعج نائب السلطان وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض والله لأضربنه بسيفي هذا. فركب بنفسه في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه وحكى له ما رأى فما اهتم الشيخ بذلك ولا تغير وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ثم خرج وكأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطان فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وارتجف وسقط السيف من يده وارتعدت مفاصله وبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال: يا سيدي الشيخ خير أي شيء تعمل؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم. قال: ففيمَ تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين. قال: فمن يقبضه؟ قال: أنا. فتم للشيخ ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا ما لم يُسمع بمثله عن أحد رحمه الله تعالى ورضي عنه.

٢- قال عبد الله بن الحكم للشافعي لما قدم مصر: إذا أردت أن تسكن مصر فليكن لك قوت سنة، ومجلس من السلطان تتعزز به، فقال له الشافعي: يا أبا محمد من لم تُعزُّه التقوى فلا عز له، ولقد ولدت بغزة، ورُبيت بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جياعاً قط.

٣- قدم السلطان عبد العزيز إلى مصر وزار الجامع الأزهر وصحبه الخديوي إسماعيل، فلاحظ الخديوي على شيخ الجامع أنه غير مهتم بهم فهو مسند ظهره ماداً رجله، فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلف الخديوي أحد رجاله أن يذهب لهذا الشيخ بصُرة فيها فلوس يريد أن يجذبه إليه بها ويعرف حاله. فلما جاء الرسول للشيخ ليعطيه الصرة قبض الشيخ عنه يده وقـــال له: قل لمن أرسلك: إن من يمد رجله لا يمد يده.

٤- كان الناس في زمان بني مراون يأمرون في الحج صائحاً يصيح لا يُفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح رحمه الله (وكان من كبار التابعين).

٥- وعطاء هذا كان عبداً لامرأة من مكة، وكان أسود أعور أفطس أشل، أعرج ثم عمي مفلفل الشعر كأن أنفه باقلاء. قال: سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غراب أسود. وقد حكى أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك جاء إلى عطاء هو وولداه فجلسوا إليه، فلما صلى انتقل إليهم وما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول قفاه إليهم، وبعد أن انتهى قال سليمان لابنيه: قُومَا يا بني ولا تتكاسلا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود (وهذه القصة تدل على عزة العلم وأهله).

٣٣ قصة رجل دخل الجنة ولم يركع ركعة

بينما رسول الله ﷺ محاصر لبعض حصون خيبر أتاه راعٍ أسود الوجه معه غنم كان فيها أجيراً لرجل من اليهود، وقال له يا رسول الله: أعرض عليَّ الإسلام، فعرض عليه الإسلام فأسلم. فلما أسلم قال يا رسول الله: إني كنت أجيراً لصاحب هذه الأغنام وهي أمانة عندي فكيف أصنع بها. قال: اضرب في وجوهها فإنها سترجع إلى صاحبها. فأخذ الأسود الراعي حفنة من الحصى فرمى بها في وجهها. وقال: ارجعي إلى صاحبك !! فوالله لا أصحبك أبداً. فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم الراعي إلى الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله ركعة !! فأُتي به إلى رسول الله ﷺ فوُضع بجواره وهو مُغطى بشملة كانت عليه، فالتفت إليه ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا: يا رسول الله: لِم أعرضت عنه؟ قال: إن معه الآن زوجته من الحور العين تنفض عن وجهه التراب(١).

٣٤ خطـوات الشيـطـان

كان عابد في بني إسرائيل من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكراً، ليس لهم أخت غيرها، فخرج الثلاثة للجهاد في سبيل الله، فلم يدروا عند مَنْ يتركون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها فأجمعوا رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل وكان ثقة في

---

(١) وكونه لم يركع ركعةً لأن الوقت وقت قتال ولم يَحن وقت صلاة بعد فَقُتِلَ قبل أن تدركه صلاة وليس المعنى كما يتوهم البعض أنه كان متهاوناً في الصلاة «الناشر».

أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في جواره إلى أن يرجعوا من سفرهم. فرفض العابد ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم فلم يزالوا يُلحون عليه حتى أطاعهم وقَبِلَ وقال لهم: أنزلوها في بيت بجوار صومعتي. فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها.

فمكثت في جوار ذلك العابد زماناً ينـــزل إليها بالطعام من صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام، فتلطف له الشيطان[1] فلم يزل به يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها فلبث على هذه الحالة زماناً. ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة. فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته. ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنـــزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان أحسن لها وآنس لها فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها. فلبثا على ذلك زماناً ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع معها وقال له: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس وأحسن لها فلم يزل به حتى فعل قال: فلبث زماناً ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير قائلاً: لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل، فكان ينـــزل من صومعته فيقف على

(١) وقد قال الصادق المصدوق ﷺ «ما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» «الناشر».

باب بيتها فيحدثها فلبثا على ذلك حيناً. ثم جاءه إبليس فقال له: لو دخلت معها فحدثتها و لم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته. ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها. فلم يزل إبليس يحسنها في عينيه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاماً فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاذهب إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل وقتل ابنها فقال له إبليس: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها خذها واذبحها وادفنها مع ابنها. فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله به أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو فجاؤوا فسألوه عن أختهم فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها وأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم. فلما جن الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها. فكذبه الشيطان وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحها وذبح الغلام خوفاً منكم وألقاهما في حفرة حفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً. وأتى الأوسط في منامه فقال له: مثل ذلك ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك. فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول لأخيه:

لقد رأيت الليلة عجباً. فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم. فقال أصغرهم: والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه. قال: فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفرة كما قيل لهم فسألوا عنها العابد، فصدق قول إبليس فيما صنع بهما، فرفعوا أمره إلى ملكهم فأنزلوه من صومعته وقُدِّمَ ليُصلب فلما أوثقوه على الخشبة ليُقْتل أتاه الشيطان. فقال له: أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة التي أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه. فكفر العابد بالله فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ثم قتل ففيه نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧][١].

٣٥ من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز

يُحكى أن بعض الملوك التفت وهـو في أعلى قصره فرأى امرأة على سطح دار وكانت جميلة جـداً[٢]. فقـال الملك لبعض جواريه: لمن هـذه المرأة.

(١) ليس نزول الآية سبباً لهذه القصة إلا أنه يُستأنس بها في معنى الآية وكيف أن الشيطان يجر الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه أحوج ما يكون إليه. وهذه القصة من الاسرائيليات وإنما هي للعبرة والعظة «الناشر».

(٢) «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافة الله أبدله حلاوة يجدها في قلبه» جوَّدَ إسناده المنذري «الناشر».

– كل الحوادث مبداها من النظر .·. ومعظم النار من مستصغر الشرر.

فقالوا للملك هذه زوجة غلامك فيروز. فنـــزل الملك وقد شغفه حبها فاستدعى غلامه وقال له: يا فيروز. قال: لبيك يا مولاي. قال: خذ هذا الكتاب وامضِ به إلى البلد الفلانية وائتني بالجواب. فأخذ الغلام الجواب وتوجه إلى منـــزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز نفسه للسفر فلما أصبح ودع أهله وسار طالباً حاجة الملك و لم يعلم بما دبره الملك. أما الملك فإنه توجه إلى دار غلامه فقرع الباب قرعاً خفيفاً. فقالت امرأة الغلام: مَنْ بالباب؟ قال: أنا الملك سيد زوجك. ففتحت له فدخل فقالت له: أرى مولانا عندنا اليوم. قال: جئت زائراً. فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيراً. فقال لها: ويحك إنني أنا الملك وسيد زوجك وما أظنك عرفتيني؟ فقالت: بل عرفتك يا مولاي ولكن سبقك الأوائل في قولهم:

سأترك مـــاءكم من غير ورد ... وذلك لكثـــرة الـــوارد فيـــه

إذا سقط الذباب على طعام ... رفعـــت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأُسُـــود وُرودَ ماءٍ ... إذا كـــان الكـــلاب ولغن فيه

ثم قالت: أيها الملك تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه !! فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها ونسى نعله في الدار. أما الغلام فإنه لما خرج لحاجة سيده وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله في هذا السفر إلا لأمر يفعله. فسكت و لم يبد كلاماً وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد إليه فأنعم الملك عليه بمائة دينار فمضى إلى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة

وأتى إلى زوجته فسلم عليها وقال لها: قومي إلى زيارة بيت أبيك. قالت: لماذا؟ قال: إن الملك أنعم عليَّ وأريد أن تظهري لأهلك ذلك. فقامت وتوجهت إلى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها شهراً فلم يسأل عنها زوجها ولم يذكرها. فأتى إليه أخوها. وقال: إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكمنا إلى الملك. فقال فيروز: إن شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها عليّ حقاً. فطلبوه إلى الحكم. فأتى معهم إلى القاضي وهو إذ ذاك جالسٌ إلى جوار الملك فقال أخو الزوجة: مولانا قاضي القضاة إني أجَّرتُ هذا الغلام بستاناً سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره. فالتفت القاضي إلى الغلام وقال له: ما تقول يا فيروز. فقال: أيها القاضي قد تسلمت البستان وسلمته إليه أحسن ما كان. فقال القاضي: هل سلم إليك البستان كما كان. قال: نعم ولكن أريد معرفة السبب لرده. قال القاضي: ما تقول يا فيروز. فقال: والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه وإنما جئت يوماً من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد (يعني نعل الملك) فخفت أن يغتالني الأسد فحرمت دخـــول البستان إكراماً للأسد. وكان الملك متكئاً فاستوى جالساً وقـــال يا غلام: ارجع إلى بستانك آمناً مطمئناً فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثراً ولا التمس منه ورقاً ولا ثمراً ولا شيئاً ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأى الأسد مثـــل بستانك ولا أشـــد احترازاً من حيطانه على شجره. فرجع الغلام إلى داره ورد إليه زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء مما حدث (وهذا كله من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز).

٣٦ جرأة العلماء على الأمراء

أ – حُكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال: ائتوني برجل من الصحابة. فقيل: يا أمير المؤمنين ماتوا. قال: فمن التابعين فأتى بطاووس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بُساطه و لم يسلم بيا أمير المؤمنين و لم يُكنِّه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى هم بقتله فقيل له: أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله وحرم رسول الله ﷺ لا يكون ذلك. فقال: يا طاووس ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما صنعت؟ قال: خلعت عنك نعليك بحاشية بساطي. و لم تسلم بيا أمير المؤمنين و لم تكنني وجلست بجواري بغير إذن. وقلت: يا هشام كيف أنت؟ فقال طاووس: أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعها بين يدي رب العزة في كل يوم خمس مرات ولا يعاتبني ولا يغضب علي. وأما قولك لم تسلم عليَّ بيا أمير المؤمنين فليس كل المؤمنين راضياً بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً. وأما قولك لم تكنني فإن الله عز وجل سمَّى أنبياءه فقال: يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال: تبت يدا أبي لهب. وأما قولك جلست بجواري فإني سمعت علي بن أبي طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال له: عظني. فقال طاووس: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لم يعدل في رعيته.

ب– رُوى أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخاري، فدخل المدينة ليزور أخاً له، وكان غلمان الأمير نصر بن محمد ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره فلما رآهم أبو غياث الزاهد قال: يا نفس قد وقع أمر إن سَكتِّ فأنت شريكة.

فرفع رأسه إلى السماء واستعان بالله، وأخذ العصا فحمل عليهم حملةً واحدة فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان وقصوا على الأمير ما حدث. فدعا به وقال له: أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغذى في السجن؟ فقال له أبو غياث: أما علمت أنه من يخرج على[1] الرحمن يتعشى في النيران ؟!! فقال له: من وَلاَّك الحسبةَ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فقال: الذي ولاك الإمارة. فقال الأمير: ولاني الخليفة. فقال أبو غياث: ولاني الحسبة رب الخليفة. فقال الأمير: وليتك الحسبة بسمرقند. فقال أبو غياث: عزلت نفسي عنها. فقال الأمير: العجب في أمرك تحتسب حيث لم تؤمر، وتمتنع حيث تؤمر. قال أبو غياث: لأنك إن وليتني عزلتني وإذا ولاني ربي لم يعزلني أحد. فقال الأمير: سل حاجتك؟ قال: حاجتي أن ترد عليَّ شبابي فقال الأمير: ليس ذلك إليَّ. فهل لك حاجة أخرى؟ قال: أن تكتب إلى مالك خازن النار ألا يعذبني. قال: ليس إليَّ ذلك أيضاً. هل لك حاجة أخرى؟ قال: أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان يدخلني الجنة. فقال ليس ذلك إليَّ أيضاً. قال أبو غياث: فإنما مع الله الذي هو مالك الحوائج كلها لا أسأله حاجة إلا أجابني إليها .. فخلى الأمير سبيله وأُعجِبَ بإيمانه وشجاعته.

٣٧ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

حُكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلاً في الطريق فالتقطوه فأمر الملك بتربيته وضمه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم) فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه ولما حضرته الوفاة أوصى به ولي عهده فضمه إليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيّاً وخادماً أميناً وبعد ذلك قدمه في أعماله فصار

(١) كذا بالأصل والأولى أن يقال «عن شرع الرحمن» «الناشر».

حاكماً على جميع حاشية الأمير ومتصرفاً في شئون قصره. وفي أحد الأيام أمره أن يحضر شيئاً من بعض حجراته فذهب ليحضره فرأى بعض جواري الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان فتوسلت إليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما يطلب وراودته عن نفسه لتأمن شره فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير أزني وقد أحسن إليّ ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر ولكن الجارية أوجست في نفسها خيفة وتوهمت أن أحمد اليتيم سيفشي أمرها للأمير فما كان إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصره ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها؟ فقالت: إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها وكان يريد أن يقهرها على الزنا فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه وعزم على قتله ثم دبر قتله في الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل. فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحداً بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس في الطبق وابعث به إليّ فأجاب الخادم بالسمع والطاعة وفي يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم وقال له: اذهب إلى فلان الخادم وقل له: يعطيك كذا وكذا. فامتثل الأمر وذهب إلا أنه لقى في طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يحكموه بينهم في أمر فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر الأمير. فقالوا: نبعث فلاناً الخادم نائباً عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفصل في شأننا. فأجابهم إلى ما طلبوا فأرسلوا واحداً منهم هو الشاب الذي سبق له الزنا بالجارية فلما ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذي أعده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها في الطبق وغطاه وجاء به إلى الأمير فلما أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأساً غير رأس أحمد اليتيم فأحضر الأمير أحمد اليتيم فسأله عما فعل فأخبره بما كان فقال الأمير: أتعرف هذا الخادم ذنباً؟ فقال: نعم إنه فعل كذا وكذا مع الجارية وعاد وقد سألاني بالله أن أكتم الخبر. فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية وعاد إلى ما كان عليه من محبة

أحمد وإكرامه. وكانت هذه عاقبة الوفاء ونـهاية الخيانة: ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

٣٨ قصة الشيطان مع أبي هريرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان. فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: إني محتاج وعليَّ عيال وبي حاجة شديدة. فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**. فقلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله. فقال: **أما إنه قد كذبك وسيعود**. فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته فجاء يحثو من الطعام (يأخذ من الطعام) فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال لا أعود؟ فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟** قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله. فقال: **إنه قد كذبك وسيعود** فرصدته الثالث فجاء يحثو (يأخذ) من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود. فقال: دعني فإني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هن. قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: **ما فعل أسيرك البارحة؟** فقلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله. فقال: **ما هي**. فقلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال لي: لا

يزال عليك من الله حافظ ولن يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ **أما أنه قد صدقك وهو كذوب. تَعلمُ مَنْ تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة. قلت: لا. قال: «ذاك الشيطان[١]»**. (رواه البخاري)

٣٩ دروس وعبر من صحبة الصالحين

قال شقيق البلخي (وقد كان من أطباء القلوب) يوماً لتلميذه، حاتم الأصم: ما الذي تعلمته مني منذ صحبتي (٣٠ سنة) فقال حاتم الأصم: ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس في شك من أمر الرزق وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده حريص عليه فتوكلت على الله لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ...**﴾ [هود: ٦] لأني من جملة الدواب فلم أشغل قلبي بما تكفل به القوي المتين. فقال له: أحسنت.

الثاني: رأيت لكل إنسان صديقاً يفشي إليه سره ويشكو إليه أمره ولكنهم لا يكتمون الأسرار ولا يقدرون على مصادمة الأقدار فجعلت صديقي العمل الصالح ليكون لي عوناً عند الحساب ويثبتني بين يدى الله عز وجل ويرافقني في مروري على الصراط. فقال له: أحسنت.

الثالث: رأيت لكل واحد من الناس عدواً فنظرت فإذا الذي اغتابني ليس عدوي ولا من ظلمني ولا من أساءني لأنه إنما يهاديني بحسناته ويتحمل عني من سيئاتي ولكن عدوي هو الذي إذا كنت في طاعة الله تعالى أغراني معصيته فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى فاتخذهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحداً منهم يقربني. فقال: أحسنت.

---

(١) وصح عند النسائي «من قرأ آية الكرسي دبر الصلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» «الناشر».

الرابع: رأيت أن كل حي مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ففرغت نفسي لملاقاته[١] حتى إذا ما جاء بادرت معه بلا عائق. فقال له: أحسنت.

الخامس: نظرت إلى الناس متحابين ومتباغضين ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئاً فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الهوى والحسد فنفيته عني بنفي العلائق التي بيني وبينه وهي الشهوات فأحببت المسلمين كلهم فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسي. فقال له: أحسنت.

السادس: رأيت أن كل ساكن لابد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن إلى القبر فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التي تسرني في ذلك المسكن الجديد الذي ما وراءه إلا الجنة أو النار. فقال له شقيق البلخي: يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت.

٤٠ ذكاء الليث بن سعد

عن لؤلؤة خادم هارون الرشيد قال: جرى بين الرشيد وبنت عمه زبيدة خلاف فقال هارون: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ثم تدم. فجمع الفقهاء فاختلفوا في قسمه. فكتب إلى البلدان فاستحضر علماءها إليه. فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم عن قسمه هذا (أنت طالق إن لم أدخل الجنة) فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم وكان في آخر المجلس وهو الإمام الليث بن سعد قال: فسأله هارون الرشيد فقال له الليث: إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته فصرفهم. فقال: يدنيني أمير المؤمنين فأدناه. قال: أتكلم مع الأمان؟ قال: نعم. فأمر الليث بإحضار مصحف

(١) بالعمل الصالح وترك المحرمات «الناشر».

فأحضر فقال: تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال: أمسك يا أمير المؤمنين قل: والله فاشتد ذلك على هارون فقال: يا أمير المؤمنين الشرط أملك. فقال: والله حتى فرغ من اليمين فقال الليث: قل: إني أخاف مقام ربي. فقال ذلك: فقال: يا أمير المؤمنين فهي جنتان وليست بجنة واحدة. قال: فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال له الرشيد: أحسنت وأمر له بالجوائز وصرفه مكرما.

وهذا تصرف عالٍ من جمال العلم روعى فيه الحق والأدب معاً. ترى الإمام الليث عرف وجه الفتوى وهو أن الطلاق لا يقع إذا كان الرشيد ممن يخاف مقام ربه. ورأى في نفسه أنه لا يبيح لها أن يطلق الفتوى على علاتها حتى يتوثق من الشرط وهو خوف الله تعالى ويكون هذا بتحليف الرشيد حتى تطمئن نفس الإمام الليث إلى فتواه صادفت حقاً فصرف من في المجلس حتى لا يكون تحليفه بمرأى منهم ولا تأخذ الرشيد نفسه كما همت حين أراد تحليفه لو لم يذكره بشرطه عليه أن له الأمان منه حتى سكن ثم لم تكن فتوى الليث بن سعد خلجة نفس بل من القرآن نفسه ولذلك أقرأه المصحف حتى آية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فاطمأن بذلك الرشيد وعرف أنه يمسك زوجته على حل صحيح بنص قاطع من كلام الله وهذه موهبة الحق في غالب أحوالها لا تنفك عن حسن الأدب عند من عقل وعرف.

٤١ سوق الجنة

لقى أبو هريرة سعيد بن المسيب فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، قال سعيد: أو فيها سوق. قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ إن أهل

الجنة إذا أدخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم - وما فيهم دنيء - على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله هل نرى ربنا. قال: نعم هل تتمارون (تشكون) في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم عز وجل ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى أنه يقول للرجل منكم أتذكرُ يا فلان يوم عملت كذا وكذا. يُذكِّرهُ بعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي. فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منـــزلتك هذه فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ثم يقول: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم. قال: فنأتي سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله و لم تسمع الأذن و لم يخطر على القلوب. قال: فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها شيء ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً فيقبل الرجل ذو المنـــزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه - وما فيهم دنيء - فيروق ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً .. لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه. فنقول: إنا جالسنا ربنا الجبار عز وجل ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. (نرجع بمثل ما رجعنا).

(رواه الترمذي وقال حديث غريب رواه ابن ماجة في سننه جـــ٢ ص ٢٠٧).

٤٢ اللهم احشرني في حواصل الطير

يقول أبو قدامة أحد قادة المسلمين في غزواتهم ضد الروم: كنت أميراً فدعوت إلى الجهاد في سبيل الله فجاءت امرأة بورقة وصرة ففضضت الورقة لأقرأها ولأنظر ما فيها فإذا في تلك الورقة: بسم الله الرحمن الرحيم من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين سلام الله عليك أما بعد: فإنك قد دعوتنا إلى الجهاد في سبيل الله ولا قوة لي على الجهاد ولا مقدرة على القتال وهذه الصرة فيها ضفيرتي فخذها قيداً لفرسك لعل الله يكتب لي شيئاً من ثواب المجاهدين. يقول أبو قدامة: فشكرت الله على توفيقها وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ويتكتلون ضد أعدائهم فلما واجهنا العدو أبصرت صبياً حدثاً ظننت أنه ليس أهلاً للقتال لصغر سنه فزجرته رحمة به. فقال: كيف تأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١] قال أبو قدامة: فتركته ثم أقبل علي وقال: اقرضني ثلاثة سهام. فقلت له وأنا معجب به ومشفق عليه: إني أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لي إن مَنَّ الله عليك بالشهادة – وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير – فقال: نعم إن شاء الله. فأعطيته السهام الثلاثة ثم أقبل على العدو في قوة وحماس وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خر صريعاً في ميدان القتال وكانت عيني لا تفارقه طوال المعركة إعجاباً به وإشفاقاً عليه فلما خر صريعاً أقبلت عليه وسألته: هل تريد طعاماً أو شراباً؟ فقال: لا إني أحمد الله على ما صرت إليه ولكن لي إليك حاجة. فقلت له: ليس أحب إليَّ من قضائها يا بني فمرني بما شئت. فقال وهو يلفظ أنفاسه الطاهرة: أقرئ أمي مني السلام ثم ادفع إليها متاعي. فقلت: ومن أمك أيها الشاب؟ قال: أمي هي التي أعطتك شعرها ليكون قيداً لفرسك حين عجزت أن تقاتل بنفسها في سبيل

الله. قلت: بارك الله فيكم من آل بيت. ثم فارق الحياة. فقمت نحوه بما يجب فلما دفنته لفظته الأرض فعاودت دفنه مرة أخرى فلفظته الأرض أيضاً فأعمقت له في الحفر ثم دفنته فلفظته الأرض مرة ثالثة. فقلت لعله خرج بغير رضاء أمه فصليت ركعتين ودعوت الله أن يكشف لي عن أمر ذلك الغلام فسمعت من يقول لي: يا أبا قدامة دع عنك ولي الله فتركته وشأنه وعلمت أن له مع الله حالاً وبينما نحن كذلك إذا بطير قد أقبل فأكله فتعجبت كثيراً ثم رجعت إلى أمه تنفيذاً لوصيته فلما رأتني قالت: ما وراءك يا أبا قدامة هل جئتني مُعزيا أم جئتني مهنئاً؟ قال لها: وما معنى ذلك؟ فقالت: إن كان ابني قد مات جئتني معزياً، وإن كان قد قتل في سبيل الله وظفر بالشهادة فقد جئت مهنئاً. فقصصت عليها قصته وأخبرتها عن الطير وما فعلت به. فقالت: لقد استجاب الله دعاءه. فقلت لها: وما ذاك. فقالت: إنه كان يدعو الله في صلواته وخلواته ويقول في صباحه ومسائه: اللهم احشرني في حواصل الطير فانصرفت عنها وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر على الأعداء.

٤٣ لا تلتفت إلى الناس

كان جحا وابنه على طرفي النقيض في بعض السوك فكلما أمره أبوه بشيء عارضه قائلاً: وماذا يقول الناس عنا إذا عملناه؟ وأراد الأب جحا أن يلقن الابن درساً ينفعه ويجعله ينصرف عن محاولة إرضاء الناس لأن رضا الناس غاية لا تدرك فركب حماراً وأمر ابنه أن يسير وراءه ولم يكد الراكب والماشي يمضيان بضع خطوات حتى مر ببعض النسوة فتصايحن في جحا: ما هذا أيها الرجل أما في قلبك رحمة تركب أنت وتدع الصغير يجري متعباً من ورائك. فنـــزل جحا عن الحمار وأمر ابنه بالركوب فمرا بجماعة من الشيوخ جالسين في الشمس فدق أحدهم

كفاً بكف ولفت أنظار الباقين إلى هذا الرجل الأحمق الذي يمشي ويدع ابنه يركب وعلق على هذا بقوله: أيها الرجل تمشي وأنت شيخ وتدع الدابة لهذا الولد وتطمع بعد ذلك أن تعلمه الحياء والأدب. قال جحا لابنه: أسمعت تعال إذاً نركب الحمار سوياً وركبا ومضيا في طريقهما وصادفا جماعة ممن يصح أن نسميهم (أعضاء جمعية الرفق بالحيوان) فتصايحوا بالرجل وابنه: ألا تتقيان الله في هذا الحيوان الهزيل أتركبانه معاً ووزن كل منكما أثقل من وزن الحمار؟ قال جحا وقد نزل وأنزل ابنه: أسمعت؟ تعال إذن لنمشي معاً وندع الحمار يمضي أمامنا حتى نأمن مقالة السوء من الرجال والنساء وأصدقاء الحيوان. ومضيا والحمار أمامهما يمشي فصادفا طائفة من الخبثاء الظرفاء فاتخذوا من حالهما مادة للعبث والسخرية وقالوا: والله ما يحق لهذا الحمار إلا أن يركبكما فتريحاه من وعثاء الطريق. وتمضي القصة فتقول: إن جحا سمع كلام الظرفاء الخبثاء فذهب وابنه إلى شجرة في الطريق فاقتطعا فرعاً قوياً من فروعها وربطا حمارهما عليه وحمل جحا طرفاً من الفرع وحمل الابن طرفه الآخر. ولم يمضيا على حالهما خطوات حتى كانت وراءهما زفة من الناس تضحك من هذا المنظر الفريد الذي أنهاه رجل الشرطة حين ساق جحا وابنه والحمار إلى مكان يوضع فيه المجانين (مستشفى الأمراض العقلية).

وحين انتهى المطاف بجحا إلى مستشفى المجاذيب كان عليه أن يوضح لابنه خلاصة التجربة التي بلغت غايتها فالتفت إليه يقول: هذه يا بني عاقبة من يسمع إلى القيل والقال ولا يعمل عملاً إلا لأجل مرضاة الناس. وكان درساً وعاه ابن جحا وحفظه لنا التاريخ.

٤٤ قصة البقرة وبر الأم

خلاصتها أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى عليه السلام فسألوا موسى أن يدعوا الله ليبين بدعائه أمر القتيل، فأمرهم بذبح بقرة، قائلاً لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ [البقرة: ٦٧]، أي تستهزئ بنا ونحن نسألك عن أمر القتيل فتأمرنا بذبح البقرة.

فقال موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين. فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه وكان تحته حكمة عظيمة وذلك لأنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عِجْلَةُ أتى بها إلى غيضة وقال: اللهم إني أستودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة أعواماً وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان باراً بوالديه وكان يقسم الليل ثلاثة أقسام يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح احتطب على ظهره فيأتي السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفوها - فأتى الغيضة - فرآها ترعى فصاح بها. وقال: أعزم عليكِ بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت

البقرة بإذن الله تعالى وقالت: أيها الفتى البار بوالديه اركبني فإن ذلك أهون عليك. فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها. فقالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليَّ أبداً فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك. فسار الفتى بها إلى أمه. فقالت له أمه: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة. قال: بكم أبيعها. قالت: بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي. وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله ملكاً ليرى خلقه وقدرته وليختبر الفتى وكيف بره بأمه وكان الله به خبيراً. فقال الملك: بكم تبيع هذه البقرة. قال: بثلاثة دنانير وأشترطُ عليك رضاء والدتي. فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك. فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضاء أمي فردها إلى أمه وأخبرها بالثمن. فقالت له: ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني. فانطلق بها السوق وأتى الملك. فقال: استأمرت أمك. فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها. فقال الملك: فأني أعطيك اثنى عشر ديناراً فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت: إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل فقال الملك: اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران سيشتريها منكم لقتيل يُقتل من بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكوها. وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلاً ورحمة فاشتروها بملء مسكها[1] ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما

(١) جلدها.

أمر الله تعالى فقام القتيل حياً بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً. وقال: قتلني فلان. ثم سقط ومات مكانه فَحُرِمَ قاتلهُ الميراثَ.

٤٥ عذاب القبر ونعيمه

«عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين - أو ثلاثاً ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوهم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط (طيب) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فَتُعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي

بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح. فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ..

.. قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح (الثوب الخشن) فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (الحديدة التي يشوى بها اللحم) من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده

ويأتيه ملكان فَيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ من السماء أن كذب. فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه. ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح. فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: فمن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة».

(رواه البيهقي بإسناد صحيح)[1]

٤٦ فضل الإحسان إلى الأرملة

ورد عن بعض العلويين أنه كان نازلاً ببلاد العجم وله زوجة علوية وبنات، وكانوا في نعمة واسعة. فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والحاجة. فخرجت المرأة ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء فأدخلت أولادها في بعض المساجد المهجورة من شدة البرد ومضت لتبحث عن قوتها فمرت بجمعين، جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ورجل مجوسي وهو ضامن البلد فبدأت بالمسلم وحكت له ظروفها وأنها علوية شريفة، وتريد قوت أولادها. فقال لها: أقيمي الدليل والبينة على أنك علوية شريفة. فقالت: أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني. فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة حزينة. فجاءت المجوسي فحكت له ظروفها فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا ببناتها إلى داره فأطعمهم أحسن الطعام وألبسهم

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن خزيمة وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦) «الناشر».

أفخر الثياب، وباتوا عنده في نعمة وكرامة. فلما انتصف الليل رأى الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ وإذا بقصر من زمرد أخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت فيه قباب لؤلؤ ومرجان. فقال: لمن هذا القصر. فقال الرسول ﷺ: **لرجل مسلم موحد**. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال الرسول ﷺ: **أقم عندي الدليل والبينة أنك مسلم موحد**. قال: فبقى متحيراً. قال ﷺ: **لما قصدتك العلوية قلت لها أقيمي عندي البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندي الدليل أنك مسلم**. فاستيقظ الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة. ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى علم أنها عند المجوسي. فأرسل إليه فأتاه. فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلي هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم مالحقني. قال: خذ مني ألف دينار وسلمها إلي. فقال: لا أفعل. فقال: لابد منهم. فقال: الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خُلِقَ لي. أتدل عليّ بالإسلام؛ فوالله ما نِمتُ البارحة أنا وأهلي حتى أسلمنا على يد هذه المرأة الشريفة، ورأيت في منامي مثل الذي رأيته أنت. وقال لي رسول الله ﷺ: **العلوية عندك وبناتها؟** قلت: نعم يا رسول الله. قال: **القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمناً في الأزل**. قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله فانظر إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام وما أعقبه من كرامة.

٤٧ قصة اللص الفقيه

رُوى أن قاضي أنطاكية خرج ليلاً إلى مزرعة له فلما سار من البلد اعترضه لص فقال له: دع ما معك وإلا أوقعت بك المكروه. فقال القاضي: أيدك الله إن

لأهل العلم حُرمة، وأنا قاضي البلد فمُنَّ عليَّ. فقال اللص: الحمد لله الذي أمكنني منك لأني منك على يقين أنك ترجع إلى كفاية من الثياب والدواب، أما غيرك فربما كان ضعيف الحال فقيراً لا يجد شيئاً. فقال له القاضي: أراك ذا بيان. قال: نعم، وفوق كل ذي علم عليم. فقال القاضي: أين أنت مما روى عن رسول الله ﷺ: «**الدين دين الله والعباد عباد الله والسنة سنتي فمن ابتدع فعليه لعنة الله**[1]» والاستقفاف وقطع الطريق بدعة وأنا أحلك أن تدخل تحت اللعنة. فقال اللص: يا سيدي القاضي هذا حديث مرسل لم يروه عن نافع ولا ابن عمر. ولو سلمته لك تسليم عدل أو تسليم انقطاع فما بالك بلص متلصص ممن لا قوت له ولا يرجع إلى كفاية عنده إن ما معك هو حلال لي فقد روى مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمنين منها حلالاً**[2]» ولا خلاف عند كافة العلماء أن للإنسان أن يحيى نفسه وعياله بمال غيره إذا خشى الهلاك وأنا والله أخشى الهلاك على نفسي وفيما معك إحيائي وإحياء عيالي فسلمه إليَّ وانصرف سالماً.

قال القاضي: إذا كانت هذه حالتك فدعني أذهب إلى مزرعتي فأنزل إلى عبيدي وخدمي وآخذ منهم ما أستتر به وأدفع إليك جميع ما معي. فقال اللص: هيهات فمثلك مثل الطير في القفص فإذا خرج إلى الهواء خرج عن اليد وأخاف أن أخلي عنك فلا تدفع إليَّ شيئاً. فقال القاضي: أنا أحلف لك أني أفعل ذلك. قال

(١) هذا حديث غريب عجيب «الناشر».

(٢) هذا حديث غريب عجيب «الناشر».

اللص: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**يمين المكره لا يلزم**[١]» وقال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ [النحل: ١٠٦] وأخاف أن تتأول عليَّ فادفع ما معك. فأعطاه القاضي الدابة والثياب دون السراويل. فقال اللص: سلم السراويل ولابد منها. فقال القاضي: إنه قد آن وقت الصلاة، وقد قال ﷺ: «**ملعون من نظر إلى سوءة أخيه**[٢]» وقد آن وقت الصلاة ولا صلاة لعريان، والله يقول: ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٣١] وقيل في التفسير هي الثياب عند الصلاة. فقال اللص: أما صلاتك فهي صحيحة حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**العُراة يصلون قياماً ويقوم إمامهم وسطهم**[٣]» وقال مالك لا يصلون قياماً يصلون متفرقين متباعدين حتى لا ينظر أحد منهم إلى سوءة بعض. وقال أبو حذيفة: يصلون قعوداً. وأما الحديث الذي ذكرت فهو حديث مرسل ولو سلمته لك لكان محمولاً على النظر على سبيل التلذذ، وأما أنت فحالك اضطرار لا حال اختيار. ألا ترى أن للمرأة أن تغسل فرجها من النجاسة فلا تأمن النظر، وكذلك الرجل إذا حلق عانته، والرجل يختن غيره والطبيب له ذلك فإذا كان الأمر كذلك لم يلزم ما قاله القاضي. فقال القاضي: أنت القاضي وأنا المستقضى وأنت الفقيه وأنا المستفتي وأنت المفتي. خذ ما تريد ولا حول ولا قوة إلا بالله. فأخذ السراويل والثياب ومضى ووقف القاضي مكانه حتى عرفه رجل. فقال القاضي: إنه من أجلاء الفقهاء قعد به الدهر حتى فعل به ما فعل فبعث إليه وأكرمه وأجرى له ما يقوم به.

---

(١) حديث غريب «الناشر».

(٢) حديث غريب عجيب «الناشر».

(٣) وهو حديث غريب أيضاً وكيف يرويه مالك ثم يخالفه؟ «الناشر».

٤٨ ورع أبي حنيفة

– قال يزيد بن هارون ما رأيت أورع من أبي حنيفة رأيته جالساً يوماً في الشمس عند باب إنسان. فقلت له: يا أبا حنيفة لو تحولت إلى الظل. فقال لي: على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب أن أجلس في ظل فناء داره. فأي ورع أكثر من هذا؟ وفي رواية إنه سُئل لم امتنع عن الوقوف في الظل. فقال أبو حنيفة لي: عند صاحب هذه الدار شيء فكرهت أن استظل بظل حائطه فيكون ذلك أجر منفعة. وما أرى ذلك على الناس واجباً ولكن العالــم يحتاج أن يأخذ لنفسه من علمه بأكثر مما يدعو الخلق إليه.

– كما ترك أبو حنيفة رحمه الله أكل لحم الغنم سبع سنوات لما فُقدت شاة في الكوفة إلى أن علم بموتها لأنه سأل أكثر ما تعيش الشاة. فقيل له: سبع سنين. فترك أكل لحمها سبع سنين تورعاً منه لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام[1] فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه. وإن انتفى الإثم للجهل بعين الحرام.

٤٩ قصة الخشبة العجيبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه (يقرضه) ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أُشهِدُهم. فقال: كفى بالله شهيداً. قال: فائتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلا.

(١) الشاة الضالة تُعَّرفُ سنةً فإن لم يأتِ صاحبها إن شاء تصدق بها عن صاحبها ثم لا يعني ذلك أن يمتنع الإنسان عن أكل الغنم لأن الأصل في ما يملك العباد أنه حلال لا يُشكَكُ في حِلها حتى تظهر على ذلك بينة فعندها يمتنع الإنسان عن أكلها كأن يعلم أن تلك الشاة مسروقة «الناشر»

قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجَّلَه فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها. ثم أتى بها إلى البحر فقال: «اللهم إنك تعلم أني كنتُ تسلفتُ فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً فرضى بك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلَم أقدر. وإني أستودعكها» فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده – فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها حطباً لأهله فلما نشرها وجد المال والصحيفة. ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار. فقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إلى بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت بالخشبة وانصرف بالألف دينار راشداً».

(رواه البخاري)

٥٠ دعوة المكروب

روى أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يكنى أبا مغلق كان تاجراً يتجر بمال له ولغيره يسير به في الآفاق، وكان ناسكاً ورعاً فخرج مرة فلقيه لص مقنع معه سلاح. فقال له اللص: ضع ما معك فإني قاتلك. قال: فما تريد إلا دمي فشأنك والمال. قال:أما المال فلي ولست أريد إلا دمك. قال: أما إذا أبيت فدعني أصلي أربع ركعات. قال اللص ما شئت. فتوضأ ثم صلى أربع ركعات.

فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود ياذا العرش المجيد يا فعالاً لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وبملكك الذي لا يُضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني. ثلاث مرات. فإذا هو بفارس أقبل وبيده حربة قد وضعها بين أذني فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله. ثم أقبل هذا الفارس إلى التاجر الورع الناسك، وقال له: قم. فقال التاجر: من أنت بأبي أنت وأمي فقد أغاثني الله بك اليوم. فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوتَ بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي: دعاء مكروب فسألت الله أن يُوليني قتلَه. قال الحسن: فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استُجيبَ له مكروباً كان أو غير مكروب.

٥١ - غيرة الصبيان على نبيهم

حكى أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون الكرة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فرفض فقال غلام منهم: سألتك بحرمة محمد[1] ﷺ إلا رددتها علينا فأبى وأخذ يسب رسول الله ﷺ فأقبلوا عليه بعصيهم يضربونه حتى مات فرفع ذلك إلى عمر رضى الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحه بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عز الإسلام أن أطفالاً صغاراً شُتِمَ نبيهم فغضبوا وانتصروا وأُهْدر دمُ الأسقف.

(١) لا يجوز الحلف بغير الله والحلف بحرمة كذا وكذا ليس له أصل والله أعلم «الناشر».

٥٢ الفراسة

(أ) حُكى عن الشافعي ومحمد بن الحسن أهما رأيا رجلاً فقال الشافعي: إنه نجار، وقال محمد بن الحسن: إنه حداد فسألاه عن صنعته. فقال: كنت حداداً وأنا الآن نجار.

(ب) وسأل رجل من أهل القرآن بعض العلماء فقال له: اجلس فإني أشم من كلامك رائحة الكفر فرؤى الرجل بعد ذلك، وقد تنصر والعياذ بالله تعالى. فسُئل: هل تحفظ شيئاً من القرآن. فقال: لا أحفظ منه إلا آية واحدة قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

(جـ) قال أبو سعيد الخراز: رأيت في المسجد الحرام رجلاً فقيراً ليس عليه إلا ما يستر عورته فنفرت وأنفت نفسي منه فتفرس في وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فندمت على ذلك واستغفرت. فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

٥٣ من مكارم الأخلاق

(أ) شتم رجل أبا ذر فقال له: يا هذا لا تستغرق في شتمنا ودع للصلح موضعاً فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

(ب) شتم رجل الشعبي الفقيه فقال له: إن كنت صادقاً يغفر الله لي وإن كنت كاذباً يغفر الله لك.

(جـ) أسمع رجل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كلاماً فقال عمر: أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً فَانصرفْ رَحِمَك الله.

(د) روى عن سهل التسترى رحمه الله أنه كان له جار ذمي وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت سهل بثق (قذارة). فكان سهل التسترى يضع كل يوم إناءً كبيراً تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف جاره الذمى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة. فاستدعى جاره الذمى. وقال له: ادخل ذلك وانظر ما فيه. فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الإناء وضعه سهل تحته. فقال الذمى: ما هذا الذي أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى بيتي وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ولولا أنه حضرني أجلي وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى. فقال الذمى: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كُفْري؟ مُدَّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم مات سهل رحمه الله.

(هـ) قال حكيم: مكارم الأخلاق عشرة:

العقل والعلم والحلم والصبر والصدق والشكر والجود والكرم والرفق واللين.

٥٤ قصة الشفاعة

قال ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر وَيُسْمِعهُم الداعي وتدنو منهم الشمس

فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يُطيقون ولا يحتملون. فيقول الناس: ألا ترون ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح: أنت أول الرسل إلى الأرض وقد سَمَّاك الله عبداً شكوراً. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بَلَغَنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعــوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي. اذهبــوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري: اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها. نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلّمتَ الناسَ في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. ولم يذكر ذنباً. نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري: اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتون رسول الله ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليّ من محامده (الثناء عليه) وحُسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، يُقال: يا محمد ارفع رأسك سل تُعطَ واشفع تُشفع. فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدْخِلْ من أمتك مَن لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» ثم قال: «**والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين (جانبا الباب) من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى**». (رواه البخاري ومسلم)

٥٥ قصة المسيح الدجال وعلامات الساعة

- للقيامة علامات صغرى وكبرى:

فمن العلامات الصغرى:

ظهور الفتن وكثرة القتل وانتشار الرذيلة وظهور الفواحش والمنكرات من الزنى وشرب الخمر ولعب القمار والتباهي بفعل القبيح حتى يصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر .. وأيضاً من أشراط الساعة الصغرى أن يُرفع العِلْم،

ويظهر الجهل، ويكثر النساء ويقل الرجال ويُلبس الحرير وتُتخذ القينات يعني المغنيات ويمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه. ومن علاماتها الصغرى كذلك أن يظهر الدعاة المضلون والقادة المنحرفون وأن تضيع الأمانة بإسناد الأمر إلى غير أهله، وكذلك قلة الخيرات والأمطار وكثرة الزلازل والفيضانات وتغلو الأسعار وتخرج النساء متبرجات كاسيات عاريات. ومن علاماتها كذلك وقوع المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الشجر أو الحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال قاتله. إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود. وأيضاً من علامات الساعة الصغرى تقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة من النار[1]. ومن علاماتها كذلك إضاعة الصلاة والميل مع الهوى وتصديق الكاذب وتكذيب الصادق وأن يُؤتمن الخائن ويُخون الأمين ويذهب القرآن فلا يبقى إلا رسمه وتحلى المصاحف بالذهب وتكون المخاطبة للنساء وتزخرف المساجد.

ومن العلامات الكبرى للساعة:

(أ) طلوع الشمس من مغربها:

قـــال ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفـــع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً[2]»**.

---

(١) والساعة كاحتراق السعفة أي ورق النخل «الناشر».

(٢) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم «الناشر».

(ب) الدخان:

قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١] والمراد بالدخان ما يظهر قبل الساعة من دخان كثيف يملأ ما بين السماء والأرض يأخذ بأنفاس الكافرين حتى يكادوا يختنقون، ويكون للمؤمنين كهيئة الزكام ويمكث في الأرض أربعين يوماً.

(جـ) خروج الدابة التي تكلم الناس:

ومن علامات الساعة الكبرى خروج دابة من الأرض تكلم الناس بلغة فصحى يفهمها كل من سمعها تخبرهم أن الناس كانوا لا يؤمنون بآيات الله. وهذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتخاطبهم مخاطبة، وتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وتخرج هذه الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام فتختم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى يُعرف المؤمن من الكافر.

(د) خروج المسيح الدجال:

ويسمى الأعور الدجال لأنه أعور العين اليسرى وفتنته من أعظم الفتن التي تصيب الناس في آخر الزمان وهذا الأعور الدجال لا يدعي النبوة فقط وإنما يدعي الربوبية وتظهر على يديه بعض الخوارق استدراجاً من الله تعالى له وابتلاءً للناس. فيقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض: أخرجي نباتك وكنوزك فتخرج. ويقتل إنساناً ثم يُحييه ويطوف الأرض فلا يبقى بلد إلا دخلها وأفسد فيها إلا مكة والمدينة فإنه إذا أراد أن يدخلها وجد الملائكة تحرسها فيرجع خائباً، ويكون أول ظهوره من مدينة تسمى أصبهان، ويتبعه في بدء أمره سبعون ألفا من اليهود. ثم

يتبعه السفلة والجهلة والرعاع من الخلق وتبقى الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا. وكل ذلك وردت به الأحاديث الصحاح وسنذكر بعضاً منها بعون الله.

• قال ﷺ: «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه (كفر) أي كافر يقرؤه كل مسلم**[١]».

• قال ﷺ: «**إن الدجال يخرج وإن معه ماءً وناراً فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب**[٢]».

• وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، (يعني حقر شأنه بكونه أعور مكتوب بين عينيه كافر، وعظم فتنته لاشتمالها على خوارق العادات، والمعنى: أن النبي ﷺ بالغ في تقريب خروجه، واستعمل فيه كل فن[٣]، من خفض ورفع – حتى ظنناه – للمبالغة في تقريبه – أنه في طائفة – أي ناحية وجانب – النخل – بالمدينة) قال: «**غير الدجال أخوفني عليكم: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه** (قاطع حجته ومدحضها) **دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، وإنه شاب قطط** (شديد جعودة الشعر) **عينه طافية** (ذهب نورها) **كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن** (شخص هلك في الجاهلية) **فمن**

---

(١) رواه الترمذي انظر صحيح الجامع (٥٧٨٩) «الناشر».

(٢) رواه البخاري ومسلم «الناشر».

(٣) أي من فنون القول وبلاغة البيان «الناشر».

أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة (بين) الشام والعراق. فعاث (فاشتد فساده) يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا (على الإيمان ولا تزيغوا عنه) قلنا يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً: يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر ويومٌ كجمعة، وسائر (باقي) أيامه كأيامكم» قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا اقدروا له قدره» قلنا يا رسول الله: وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء (بالمطر) فتمطر، والأرض (يأمرها بالنبات) فتنبت فتروح (ترجع) عليهم سارحتهم (الأنعام السائمة) أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعاً وأَمَدَّه خواصر (يعني ترجع الماشية آخر النهار على أحسن حال من كثير المرعى، عظيمة السنام مرتفعة من السمن والشبع) ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله (ويثبتون على التوحيد) فينصرف عنهم (راجعا) فيصبحون ممحلين (يصيرون مجدبين ينقطع عنهم المطر وييبس الكلأ) ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة (الخراب) فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل (ذكور النحل). ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض (قطعتين متباعدتين مقدار الرمية) ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك (على الإفساد في العباد) إذ بعث الله تعالى المسيح بن مريم صلى الله عليه وسلم فينـــزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (أي لابساً ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه (أرخاه) قطر (ظهر الماء منه) وإذا رفعه تحدر منه جُمان كاللؤلؤ (حبات من الفضة) (يعني يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه) فلا يحل لكافر يجد ريح نَفسِه إلا مات ونَفَسُه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه. فيطلبه (يطلب عيسى عليه

السلام الدجال حينئذ) حتى يدركه بباب لُد (اسم مكان بالشام) فيقتله. ثم يأتي عيسى ﷺ قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى ﷺ إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان (لا طاقة) لأحد بقتالهم فَحرِّزْ عبادي إلى الطور (أي ضمهم إلى الطور واجعله حِرزاً) ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون (يُسرعون) فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويَمُرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويُحصر (من المحاصرة والضيق) نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم (لحاجتهم إلى الطعام) فيرغب (يلجأ ويدعو) نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم إلى الله تعالى (ابتهلوا وتضرعوا إلى الله تعالى واسألوه رفع أذى يأجوج ومأجوج في إهلاكهم) فيُرسل الله تعالى النغف (دود يكون في أنوف الإبل والغنم) في رقابهم فيصبحون فرسى (قتلى) كموت واحدة (أي يموتون دفعة واحدة) ثم يهبط نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم (أي رائحتهم الكريهة) فيرغب (يتضرع) نبي الله عيسى ﷺ وأصاحبه رضى الله عنهم إلى الله تعالى فيُرسل الله طيوراً كأعناق البخت (الإبل) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يُرسل الله عز وجل مطراً لا يكن (لا يستر ولا يمنع) منه بيت مدر ولا بر (الطين الصلب والخباء) فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة (كالمرآة) ثم يُقال للأرض أنبتي ثمرك ورُدي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة (تأكل الجماعة من الرمانة لكمال كبرها وبركتها) ويستظلون بقحفها (بقشرها) ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة (القريبة العهد بالولادة) من الإبل لتكفي الفئام (الجماعة الكثيرة) من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة

من الغنم لتكفي الفخذ (دون القبيلة) من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (تجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما تفعل الحمير) فعليهم تقوم الساعة» (*). (رواه مسلم)

(هـ) نزول عيسى بن مريم عليه السلام:

– ومن علامات الساعة الكبرى نزول السيد المسيح عيسى بن مريم. وقد أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قال تعالى: **﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾** [النساء: ١٥٩] أي ما من أهل الكتاب إنسان إلا سيؤمن بعيسى قبل موته ويوم القيامة سيشهد عيسى عليهم. وقال تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾** [الزخرف: ٦١] أي أن عيسى علامة على قرب الساعة ونزوله قد تواترت به الأخبار، فهو الآن حي في السماء رفعه الله إليها بروحه وجسده، وسينزل إلى الأرض حاكماً عدلاً يحكم بشريعة سيد المرسلين محمد ﷺ.

– روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابنُ مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية (يبطل الجزية فلا يقبلُ إلا الإسلام) ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**» وقد ثبت في الصحاح أيضاً أن عيسى هو الذي سيقتل الدجال وبعد أن تنتهي مهمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يموت فيصلي عليه المسلمون، ويُدفن في الحجرة النبوية الطاهرة.

(*) الكلمات التي بين قوسين ليست من الحديث وإنما هي من إضافة المؤلف لتوضيح المعنى.

(و) خروج يأجوج ومأجوج:

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ [الكهف: ٩٤]، وهما قبيلتان من ذرية يافث بن نوح، يخرجون في آخر الزمان بعد خراب السد الذي بناه «ذو القرنين» فيفسدون في الأرض بأنواع البغي والفساد، وهم لكثرتهم يأكلون كل ما يلقونه من طعام ونبات، ويشربون بحيرة طبرية حتى كأنه ليس بها ماء.

(ز) خروج النار وطردها الناس إلى أرض المحشر:

وهذه النار تخرج من أرض عدن وهي نار عظيمة مخيفة لا يطفئها شيء، تسوق الناس إلى المحشر (أي الموقف والمجمع) وهي من علامات الساعة الكبرى،فنسأل الله أن يجيرنا من نار الدنيا ونار الآخرة،وأن ينجينا من أهوال الساعة بفضله وكرمه، وإنه سميع قريب[١].

٥٦ طفل يقيم الليل

قال الشيخ ابن ظفر المكي[٢]: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه لما تحفّظ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [المزمل: ١، ٢]، قال

---

(١) وفي صحيح مسلم «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» كما عدَّ العلماء ظهور المهدي من علامات الساعة الكبرى.

(٢) في كتابه أنباء نجباء الأبناء.

لأبيه: يا أبت من الذي يقول الله تعالى له هذا؟ قال يا بني ذلك النبي محمد - ﷺ - قال: يا أبت مالك لا تصنع كما صنع - ﷺ - قال: يا بني ! إن قيام الليل خصّص به - ﷺ - وبافتراضه دون أمته، فسكت عنه. فلما تحفظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]؟ قال: يا أبت إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الجماعة؟ قال: يا بني ! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. قال: يا أبت فأي خير في ترك ما عمله النبي - ﷺ - وأصحابه؟! قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي، فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلي فقال: يا أبت علمني كيف أتطهر وأصلي معك؟ فقال أبوه: يا بني ارقد فإنك صغيرٌ بعدُ، قال يا أبت: إذا كان يوم يصدرُ الناسُ أشتاتاً ليروا أعمالهم أقول لربي إني قلت لأبي كيف أتطهر لأصلي معك فأبى وقال: ارقد فإنك صغيرٌ بعد. أتحب هذا؟

فقال له أبوه: لا والله يا بني ما أحب هذا وعلّمه فكان يصلي معه.

٥٧ أسباب عدم إجابة الدعاء

حكى أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله مر بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا له: يا أبا إسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا. قال: لأن قلوبكم ماتت بَعشرة أشياء:

(الأول): عرفتم الله و لم تؤدوا حقه.

و**(الثاني)**: زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

و**(الثالث)**: قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

و(الرابع): أكلتم نعم الله و لم تؤدوا شكرها.

و(الخامس): قلتم إن الشيطان عدو لكم و لم تخالفوه.

و(السادس): قلتم إن الجنة حق و لم تعملوا لها.

و(السابع): قلتم إن النار حق و لم تهربوا منها.

و(الثامن): قلتم إن الموت حق و لم تستعدوا له.

و(التاسع): انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

و(العاشر): دفنتم موتاكم و لم تعتبروا بهم.

٥٨ فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد

(أ) روى أن عابداً من بني إسرائيل كان يعبد الله سبحانه وتعالى في صومعة فوق الجبل، وذات يوم خرج كعادته لكي يتجول متأملاً في ملكوت الله تعالى حول صومعته، وأثناء تجوله هذا رأى في طريقه جثة آدمي تنبعث منها رائحة كريهة، فمال العابد إلى اتجاه آخر حتى يتفادى شم هذه الرائحة. عند ذلك ظهر له الشيطان في صورة رجل من الصالحين الناصحين، وقال له: لقد تبخرت حسناتك و لم يعد لك رصيد منها عند الله. فقال له العابد: و لم؟ قال: لأنك أبيتَ أن تشم رائحة آدمي مثلك. وعندما ظهر الألم على وجه العابد قال له الشيطان مشفقاً وناصحاً إذا أردت أن يغفر الله لك زلتك فإني ناصحك بأن تصطاد فأراً جبلياً وتعلقه في رقبتك على أن تعبد الله به طوال حياتك. ونَفَّذَ العابد الجاهل نصيحة الشيطان الذي كان

يتحين له الفرص؛ فاصطاد الفأر الجبلي، وظل يتعبد به حاملاً النجاسة أكثر من ستين عاماً إلى أن مات (فبطلت كل عبادته).

وقد ورد أن النبي ﷺ قال معلقاً على هذا الخبر: «**مسألة علم – أو مجلس علم – خير من عبادة ستين سنة**[1]».

(ب) وروى عن عبد القادر الجيلاني رحمه الله أنه كان يمشي ذات يوم في الصحراء فتراءى له نور عظيم في الأفق ثم سمع صوتاً ينادي يا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات. فقال له: اخسأ يا لَعينُ. فإذا بهذا النور ينقلب ظلاماً وإذا بالصوت يقول له يا عبد القادر لقد نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك ولقد أضللت بمثل هذه سبعين من كبار العباد ولولا علمك لأضللتك مثلهم.

(جـ) روى أن عيسى عليه السلام كان ذات يوم يقف فوق الجبل فجاءه إبليس وقال له: ألستم تقولون إن الإنسان إذا أراد الله له الموت لابد من موته؟ قال: نعم. قال: وإلا. قال: فلن يموت. عند ذلك قال إبليس عليه اللعنة لسيدنا عيسى عليه السلام: إذن فاقذف بنفسك من فوق الجبل فإن كان الله قد أراد لك الموت فستموت وإلا فلا. فقال له سيدنا عيسى عليه السلام: اخسأ يا لعين إن لله تعالى أن يمتحن عبده وليس للعبد أن يختبر ربه.

(د) وروى أن الشافعي رحمة الله عليه كان يجلس ذات يوم في مجلس الدرس فإذا بإبليس عليه اللعنة يجلس بين تلاميذه في صورة رجل منهم ثم يوجه إليه هذا السؤال: ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستخدمني فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار .. أعدل في ذلك أم جار؟ وبنور من الله

---

(١) هذا الحديث لا يصح رفعه للنبي ﷺ «الناشر».

عرفه الشافعي فأجابه قائلاً: يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمَك وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يُسئل عما يفعل.

(هـ) رُوى أن رجلاً من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سنة سبعة أيام فسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك و لم ير هذا، قال: لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيراً لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكاً فقال له: إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إليَّ مما مضى من عبادتك وقد فتح الله ببصرك فانظر، فنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئاب فقال: يا رب فمن ينجو من هذا. قال: الوَرِعُ اللينُ.

(و) قيل إذا أصبح إبليس بث جنوده[1] في الأرض فيقول: من أضل مسلماً ألبسته التاج. فيقول له القائل من جنوده الشياطين: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته. قال: يوشك أن يتزوج. ويقول آخر: و لم أزل بفلان حتى عق والديه. قال: يوشك أن يبر. ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنا. قال: أنت. ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر قال: أنت. ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى قتل. فيقول: أنت أنت.

– وقيل إن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطيء وأنت موضع سري وأنتِ رسولي في حاجتي.

(ز) عن الحسن قال: كانت شجرة تُعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال: لأقطعن هذه الشجرة. فجاء ليقطعها غضباً لله عز وجل فلقيه إبليس في صورة

---

(١) وفي صحيح مسلم «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منــزلة أعظمهم فتنة» الحديث «الناشر».

إنسان فقال: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تُعبد من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك مَنْ عبدها؟ قال: لأقطعنها. فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك. قال: فمن أين لي ذلك. قال: أنا لك فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً فقام غضباً ليقطعها فتمثّلَ له الشيطان في صورته وقال: ما تريد؟ قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى. قال: كذبت مالك إلى ذلك من سبيل. فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضباً للدينارين سُلطت عليك.

(ح) ويقال: إن إبليس لعنه الله ظهر لفرعون في صورة رجل وهو في الحمام فأنكره فقال له إبليس: ويحك أما تعرفني؟ فقال: فكيف؟ وأنت خلقتني؟ ألست القائل: أنا ربكم الأعلى.

– وظهر إبليس لسليمان عليه السلام فسأله سليمان: أي الأعمال أحب إليك وأبغض إلى الله تعالى؟ فقال: لولا منـــزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك إني لست أعلم شيئاً أحب إليّ من استغناء الرجل بالرجل (اللواط) واستغناء المرأة بالمرأة.

– كان هناك شخص يلعن إبليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم أتاه شخص وأيقظه وقال له: قم فإن الجدار سيسقط عليك. فقال له: من أنت الذي أشفقت عليّ هذه الشفقة؟ فقال له: أنا إبليس. فقال له: كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة؟ فقال: هذا لما علمت من منـــزلة الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم كما ينالون. ملحوظة – صاحب الهدم أي الذي يسقط

عليه الجدار أو يموت تحت بناء يعتبر شهيداً لقوله ﷺ: «**الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل**».

(رواه مسلم)

٥٩ عمر واختباره للولاة

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يختبر الولاة بنفسه أثناء ولايتهم على البلاد فيسأل الشعب عنهم وعن صلاحيتهم للحكم فجاء يوماً إلى حمص وكان سعيد بن عامر الجمحي والياً عليها فجمع أهلها وقال لهم: يا أهل حمص كيف وجدتم واليكم سعيد .. فقالوا: نشكو منه أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، ولا يجيب أحداً بليل وله يوم من الشهر لا يخرج فيه إلينا، وتأخذه غشية فتجعله بين الحياة والموت. فما كان من عمر إلا أن جمع بين سعيد بن عامر وبينهم وقال: اللهم لا تغير رأي فيه بما يشكون منه اليوم. وعندما سمع سعيد ما يشكون منه. قال: أما عن عدم خروجي إليهم حتى يتعالى النهار فإنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ وأخرج إليهم، وأما عن عدم إجابتي لأحد بليل فإني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عز وجل. وأما عن اليوم الذي لا أخرج فيه لأحد من الشهر فإنه ليس لي خادم يغسل ثيابي وليس لي ثياب أبدلها حتى تجف ثم ألبسها وأخرج إليهم آخر النهار. وأما عن الغشية التي تجعلني بين الحياة والموت فسببها مؤلم وهو أني شهدت مصرع خبيب بن عدي الأنصاري وقد قطعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع شجرة ممعنين في تعذيبه وإيلامه ليكفر بمحمد ﷺ وقالوا له: أتحب أن نجعل محمداً الذي تدين بدينه في مكانك فرد عليهم قائلاً: والله لا أحب أن أكون حياً بين أهلي وأن محمداً يُشاك بشوكة في أصبعه تؤلمه. فما ذكرت

ذلك اليوم وذلك النداء وتركي نصرة خبيب وهو في تلك الحالة البشعة وقد كنت في ذلك مشركاً لا أؤمن بالله العظيم ولا نبيه الكريم وما ذكرت ذلك إلا ظننت أن الله لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً وحينئذ تصيبني رعشة وغشية. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يغير رأيي فيك.

٦٠ الرحمة بالحيوان من أسباب المغفرة

• قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنـــزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنـــزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفمه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له**».

(رواه البخاري ومسلم)

• وفي رواية في الصحيحين: «**بينما كلب يطيف بركيه (يدور حول بئر) قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنـــزعت مُوقها (نعلها) فاستقت له به فسقته، فغفر لها به**».

٦١ قصة فتنة سليمان عليه السلام

قال ﷺ: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: **قل إن شاء الله**. فلم يقل إن شاء الله. فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. **والذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون**». (رواه البخاري

ومسلم)، وفيهما أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «قال سليمان: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. و لم يقل إن شاء الله فطاف عليهم فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فَجِيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرساناً أجمعون فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص: ٣٤]».

٦٢ قصة آدم وموسى عليهما السلام

قال ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره اللهُ عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة. فَحَجَّ آدمُ موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى». (رواه البخاري)

فائدة هامة:

غلب آدم موسى في الحجة، لأن المصائب يُحتج فيها بالقدر بخلاف المعاصي، لأن المصيبة لم يرُدها الإنسان و لم يأتها مختاراً.

وإنما تقع عليه بدون علم منه ولا إرادة ولا اختيار فيحسن الاحتجاج بالقدر تخفيفاً من آلامها.

أما المعائب (الذنوب والمعاصي) فإن العبد يأتيها مريداً لها وهو يعلم أن الله تعالى قد حرمها وكرهها، فإذا فعلها لم يصح منه عقلاً ولا شرعاً أن يحتج عليها بإرادة الله تعالى وقدره بحال من الأحوال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وموسى عليه السلام أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه وهداه واصطفاه، وآدم أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته بل إنما لام موسى آدم على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيهاً على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة في رواية وفي لفظ آخر (خيبتنا) فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئته كانت مكتوبة بقدره قبل خلقه، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب أي أتلومني على مصيبة قدرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة.

٦٣ المنقذات من المهلكات

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صُفة في المدينة، فقال: «إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، **فجاءه بره بوالديه فردَّ ملكَ الموت عنه**. ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذاب القبر **فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك**. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، **فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشياطين عنه** ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، **فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم**. ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشاً كلما دنا من حوض مُنع منه وطُرد، **فجاءه صيامه شهر رمضان فأسقاه وأرواه**. ورأيت رجلاً من أمتي ورأيت النبيين حِلقاً حِلقاً كلما دنا إلى حلقة طُردَ، **فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي**. ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة وعن شماله ظلمة وعن يمينه ظلمة ومن فوقه ظلمة

وهو متحير، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلاً يتقي بيده ووجهه وهج النار وشررها، فجاءته صدقته فصارت سُترة بينه وبين النار، وظلاً على رأسه. ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه، فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصار فيهم. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه (أولاده الصغار الميتون قبله) فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله (خوفه) من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد (يضطرب) كما ترعد السعفة في ريح عاصفة، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل، فَسكَّنَ روعته ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليّ فأنقذته وأقامته على قدميه. ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له أبواب الجنة وأدخلته الجنة». (أخرجه المديني وقال حديث حسن) وذكر جماعة من الحفاظ أن لوائح الصحة ظاهرة عليه.

٦٤ حُسن خاتمة قارئ القرآن

كان أحد الصالحين قد اعتاد أن يقرأ كل يوم عشرة أجزاء من القرآن الكريم، وذات يوم كان يقرأ في سورة يس، حتى إذا ما وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٢٤] صعدت روحه إلى السماء فتعجب أصحابه من حوله وقالوا: كان هذا الرجل صالحاً فكيف يُختم له بهذه الآية: ﴿إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ فرآه أحد الصالحين في المنام بعد دفنه. فقال له: يا فلان إنك قد خُتم لك بقوله تعالى: ﴿إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ فكيف حالك اليوم مع الله؟ فقال: لما دفنتموني وتركتموني جاءني الملكان وسألاني وقالا: من ربك؟ فأكملت لهم القراءة فقلت: ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] قيل: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦].

٦٥ أنوار عمرية

● اشترى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وهو أمير المؤمنين حصاناً وسار به بعيداً عن البائع وركبه ليجربه .. فأصيب الحصان بعطب. فساورته نفسه بإرجاعه ظناً منه أن البائع خدعه فيه. ولكن البائع رفض قبول الحصان من أمير المؤمنين. فماذا يفعل أمير المؤمنين أمام هذا الرجل المشاكس؟ هل يأمر باعتقاله؟ هل يلفق له تهمة؟ أبداً لقد قدم في حقه شكوى. لكن الرجل المشكو أصر على أن يختار هو القاضي واختار فعلاً (شريح) القاضي المشهور بالعدل. ووقف أمير المؤمنين في قفص الاتهام. وصدر الحكم ضد عمر وفقاً لقانون العدل قائلاً لعمر: خذ ما ابتعت أو رد كما استلمت. ويقول عمر مسروراً وهو ينظر إلى شريح قائلاً: «وهل القضاء

إلا هكذا» ثم لا يأمر بسجن القاضي ولا باتهامه بالعمالة أو إزعاج أمن الدولة وإنما يعينه قاضياً على الكوفة مكافأة له.

● وعندما وصلت أقمشة يمنية ووزعت على المسلمين عدلاً ومساواة ولبس عمر بن الخطاب ثوباً أكبر من حقه (لأنه كان طويلاً) ولمس المسلمون ذلك لأن الأشياء كانت توزع علانية. وصعد عمر المنبر ليخطب ويحثهم على الجهاد مرتدياً هذا الثوب وقال لهم: «اسمعوا وأطيعوا» فلا يصله دوى من التصفيق الحاد والملتهب، وإنما يتصاعد إليه صوت قوي يقول: لا سمع ولا طاعة. ولا يتقدم في هذا الموقف عشرات الجنود المدججين بالسلاح فيغمزون هذا المتبجح بسيل من اللكمات والقنابل المسيلة للدموع. ولكن الجو يهدأ ويقول له عمر في هدوء: لماذا؟ يرحمك الله (يدعو له بالرحمة) فيقول الرجل بنفس الجرأة: أخذت من القماش مثلما أخذنا .. فكيف فصلته قميصاً وأنت أطول منا؟ لابد أن هناك شيئاً خصصت به نفسك. ويدافع عمر عن نفسه، وينادي على ابنه عبد الله كشاهد نفي ويعلن عبد الله بن عمر أنه تنازل عن نصيبه لأبيه حتى يمكنه أن يحصل على قميص كامل يتمكن به من ستر العورة والاجتماع بالناس ويجلس الرجل في هدوء من جديد وهو يقول: «الآن نسمع ونطيع».

● وعاش عمر ككل الناس يشعل قنديلاً (مصباحاً) هزيلاً بالليل يتحدث فيه عن أمور الدولة فإذا شاء محدثه أن يخرج به من شئون المسلمين أطفأ المصباح، فهذا المصباح ملك للدولة. ومن هنا فلا يصح أن يستخدم في أغراض خاصة.

● وجاء يوم الجمعة واجتمع الناس ينتظرون الخطيب الذي هو عمر وأبطأ عمر عليهم وطال انتظارهم. ثم خرج عمر عليهم فصعد المنبر واعتذر عن إبطائه

عليهم. ولما سألوا عن سبب تأخره تبين أن أمير المؤمنين عمر كان قد غسل قميصه الذي كان لا يملك غيره ثم انتظره حتى جف ولبسه وأتى المسجد ليخطب.

● وخرج عمر في جولته الليلية يتحسس أخبار الرعية، فوصل إلى خيام على بعد ثلاثة أميال من المدينة. استلفت نظره فيها خيمة نارها مشتعلة، فلما اقترب رأى امرأة وحولها صغار يبكون، فسأل عمر عن حالهم فقالت المرأة: ضربنا البرد والليل. قال عمر: فما بال الصبية يبكون؟ وتجيب المرأة: يبكون من الجوع. ويسأل عمر: وماذا في القدر؟ قالت: ماء أُسكتهم به حتى يناموا، ثم تقول المرأة: الله بيننا وبين عمر، وهي لا تعرف أن الذي يكلمها هو عمر. فيقول لها عمر: يرحمك الله، وما يدري عمر بكم. فترد المرأة قائلة: «سبحان الله أيتولى أمرنا ويغفل عنا» ويهرع عمر إلى بيت المال ويعود يحمل على كتفه الطعام بنفسه ويحمل لها جوال الدقيق والزيت على ظهره بنفسه، ويأبى أن يحمل عنه أحد ذلك قائلاً إن أحداً لن يحمل عنه ذنوبه يوم القيامة. ويطبخ عمر أمير المؤمنين للصبية طعامهم والمرأة تتعجب من صنيعه، وتقول له: «جزاك الله خيراً أنت والله أولى بالحكم من أمير المؤمنين عمر».

● وذات يوم عاقب أبو موسى الأشعري جندياً في جيش العراق فحلق شعره واعتبر الجندي أن هذه العقوبة غير عادلة. فجمع شعره وسافر به من العراق إلى المدينة ودخل على أمير المؤمنين عمر فقذف بالشعر في مجلسه وقال: هكذا يعاملنا رجالك. فتهلل وجه عمر وقـــال: لأن يكون الناس كلهم في مثل شجاعة هذا الرجل أحب إليّ من كل ما فتحنا من بلاد - تلك أمتنا وذلك تراثنا وليس (ضربك شرف يا أفندينا).

● وكان عمر يسير ليلاً فإذا بامرأة تهتف باسم نصر بن حجاج وتمنت أن تشرب الخمر وتلقاه وتقول:

هل من سبيل إلى خمرٍ فاشربها أم هل من طريق إلى نصر بن حجاج

فأرسل إليه فإذا نصر بن حجاج أحسن الناس شعراً وأحسنهم وجهاً وجمالاً فأمره عمر أن يُقصر شعره فقصره، فازداد جمالاً، فأمره عمر أن يلبس عمامة، فزادته العمامة جمالاً وزينة، فقال عمر: لا يسكن معي رجل تهتف به النساء، فأعطاه عمر مالاً كثيراً وأرسله إلى البصرة ليعمل في تجارة تشغله عن النساء، وتشغل النساء عنه.

● وكان عمرو بن العاص والياً لمصر وكان ابنه يُجري الخيل للسباق فنازعه للسباق بعض المصريين واختلفا بينهما، لمن يكون الفرس السابق وغضب ابن الوالي وضرب المصري وهو يقول له: أتسبق ابن الأكرمين؟ فغضب المصري ورفع الشكوى إلى أمير المؤمنين عمر فاستدعى عمر الوالي على مصر (عمرو بن العاص) وابنه. ونادى بالمصري وجمع الناس وأمر المصري أن يضرب خصمه قائلاً له: اضرب ابن الأكرمين، ثم أمره أن يضرب الوالي لأن ابنه لم يجرؤ على ضرب الناس إلا بسلطانه وصاح بعمرو بن العاص قائلاً له: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.(١)

● وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه دائم البكاء من خشية الله تعالى لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع وكان شديد الخوف من الله تعالى ومع هذا كان يقول: ليت أمي لم تلدني ليتني

(١) هذه القصة ضعفها الشيخ علي حشيش في مجله التوحيد في «تحذير الداعية من القصص الواهية» «الناشر».

كنت شعرة في جسم أبي بكر الصديق وكان يقول: لو نادى مناد أن كل الناس يدخلون الجنة إلا واحداً لخشيت أن أكون أنا.

٦٦ وما من دآبة في الأرض إلا على الله رزقها

روى أن رجلاً جلس تحت أشجار من النخيل ثم استلقى على ظهره فإذا به يرى عصفوراً بفمه ثمرة من نخلة مثمرة إلى أخرى غير مثمرة، ثم رأى هذا العمل يتكرر فعجب لذلك وقال في نفسه: لأصعدن هذه النخلة لأتبين الأمر، فصعد فإذا به يرى داخل سعف النخلة حية عمياء فاتحة فمها والعصفور يلقي بالثمر في فمها، فعجب من ذلك وقال: صدق الله حيث يقول: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

- ويحكي أن ابن أبشاذ النحوي كان يوماً على سطح جامع مصر وهو يأكـــل شيئاً وعنده ناس فحضرهم قـــط فقدموا له لقمة فأخذها في فمه وغـــاب عنهم ثم عاد إليهم، فرموا له شيئاً آخر ففعل كذلك وتردد مراراً وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب ثم يعود من فورة حتى عجبوا من ذلك القط، علموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته فلما شكوا في أمره تبعوه فوجدوه يصعد إلى حائط في سطح الجامع، ثم ينـــزل إلى موضع تجاهه بين خراب وفيه قط آخر أعمى وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله. فعجبوا من تلك الحال فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته و لم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلي.

٦٧ قصة البطاقة والسجلات

قال ﷺ: «إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فَينشُرُ له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر. فيقول أتُنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفَلَكَ عذرٌ أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب: فيقول الله عز وجل: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظُلم عليك اليوم فيُخرج له بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لن تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت (خفت) السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء».

أخرجه أحمد وابن ماجة والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب والبيهقي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[1].

٦٨ قصة ذبح الموت

قال ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى منادٍ: يا أهل الجنة فيشرئبون (يمدون أعناقهم) وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه. فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» وفي رواية: «فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى

---

(١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦) «الناشر».

فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا.

رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري واللفظ له وأخرجه الشيخان عن ابن عمر ولفظهما قريب من ذلك.

٦٩ الرضا بمُر القضاء

(أ) يحكى أن رجلاً من الصالحين مر على رجل ضربه الفالج[١] والدود يتناثر من جنبيه وأعمى وأصم وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه. فتعجب الرجل ثم قال له: يا أخي ما الذي عافاك الله منه لقد رأيت جميع المصائب وقد تزاحمت عليك. فقال له: إليك عني يا بَطَّال فإنه عافاني إذ أطلق لي لساناً يوحده وقلباً يعرفه وفي كل وقت يذكره.

(ب) ويُحكى أن أحد الصالحين كان إذا أصيب بشيء أو ابتلى به يقول خيراً وذات ليلة جاء ذئب فأكل ديكاً له، فقيل له به فقال: خيراً، ثم ضُرب في هذه الليلة كلبه المكلف بالحراسة فمات. فقيل له، فقال: خيراً، ثم نهق حماره فمات، فقال: خيراً إن شاء الله. فضاق أهله بكلامه هذا ذرعاً. ونزل بهم في تلك الليلة عرب أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمنطقة ولم ينجُ غيره وسَلِم هو وأهل بيته. استدل العرب النازلون على الناس بصياح الديكة ونباح الكــلاب ونهيق الحمير وهو قد مات له كل ذلك فكان هلاك هذه الأشياء خيراً وسبباً لنجاته من القتل فسبحان المدبر الحكيم.

---

(١) الفالج هو الشلل النصفي عافانا الله وإياكم «الناشر».

(جـ) قال المدائني: رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً ولا أنضر منها ولا أحسن وجهاً منها، فقلت: تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور، فقالت: كلا والله إن لدي أحزاناً وخلفي همومٌ، وسأخبرك: كان لي زوج وكان لي منه ابنان فذبح أبوهما شاة في يوم عيد الأضحى والصبيان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أُريك كيف ذبح أبي الشاة. قال: نعم، فذبحه. فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردني الدهر. فقلت لها: وكيف أنت والصبر؟ فقالت: لو دام لي لَدُمتُ له ولكنه كان جرحاً فاندمل[1].

(د) قـال الشافعي رحمه الله عند موت ابنه: اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء، وأخذت ابناً وأبقيت أبناء.

(هـ) قال الأحنف بن قيس: شكوت إلى عمي وجعاً في بطني فنهرني وقال: إذا نزل شيء فلا تشكه لأحد فإنما الناس رجلان صديق تسوءه وعدو تسره، والذي بك لا تشكه إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن أُشكُ لمن ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عنك، يا ابن أخي إحدى عينيي هاتين ما أُبصرُ بها من أربعين سنة وما أطلعتُ على ذلك امرأتي ولا أحداً من أهلي.

(و) وكان أحد الصالحين مبتلى في أولاده، فكلما جاءه ولد وترعرع قليلاً وفرح به خطفه الموت، وتركه حزيناً كسير القلب، ولكن الرجل لشدة إيمانه لا يملك إلا أن يحتسب ويصبر ويقول (لله ما أعطى ولله ما أخذ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها) حتى كان الولد الثالث وبعد سنوات مَرِضَ الولد

---

(١) أي التأم وشُفي «الناشر».

واشتد به المرض وأشرف على الموت، والأب إلى جواره تدمع عينه، فأخذته سنة من النوم فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وأن أهوال القيامة قد برزت فرأى الصراط وقد ضُرِبَ على متن جهنم واستعد الناس للعبور، ورأى الرجل نفسه فوق الصراط، وأراد أن يمضي فخشى الوقوع فجاءه ولده الأول الذي مات يجري وقال: أنا أسندك يا أبتاه، وبدأ الأب يسير ولكنه خشى أن يقع من الناحية الأخرى فرأى ولده الثاني يأتيه ويمسك بيده من الناحية الثانية، وفرح الرجل أيما فرح، وبعد أن مضى قليلاً شعر بعطش شديد، فطلب من أحد ولديه أن يسقيه. قالا: لا إن أحدنا إن تركك وقعت في النار فماذا نفعل. قال أحدهما: يا أبي لو كـــان أخونا الثالث معنا لسقاك الآن. وتنبه الرجل من نومه مذعوراً يحمد الله على أنه لا يزال على قيد الحيـــاة ولم تحن القيامة بعد، وحانت منه التفاتةٌ نحو ولده المريض بجانبه فإذا هـــو قد قُبض (مات) فصاح: الحمد لله لقد ادَّخَرتُ ذخراً وأجراً وأنت فرطي على الصراط يوم القيامة، وكـــان موته برداً وسلاماً على قلبه.

٧٠ أم الخبائث

قام عثمان بن عفان رضى الله عنه خطيباً، فقال: أيها الناس، اتقوا الخمر فإنها أم الخبائث وإن رجلاً كان قبلكم من العُبَّاد وكان يختلف إلى مسجده فلقيته امرأةُ سوءٍ فأمرت جاريتها فأدخلته المنـــزل وأغلقت الباب وعندها خمر وصبي فقالت: لا تفارقني حتى تشرب كأساً من هذا أو تواقعني أو تقتل هذا الصبي وإلا صِحتُ وقلت هذا دخل بيتي، فمن ذا الذي يصدقك فقال الرجل: أما الفاحشة فلا آتيها وأما النفس فلا أقتلها. فشرب كأساً من الخمر واللهِ ما بَرِحَ حتى وَاقعَ المرأة وقتل الصبي.

ثم قال عثمان رضى الله عنه. فاجتنبوها فإنها أم الخبائث وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل إلا ويوشك أن يُذهِبَ أحدُهما الآخَر.

٧١ قصة الشهيد الضاحك

هو سعيد بن جُبير[١] وارث علم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وأحد أعلام التابعين وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث حين خرج على الخليفة عبد الملك بن مروان لعسفه وإسرافه في القتل فلما انهزم ابن الأشعث في وقعة دير الجماجم وقتل لحق سعيد بمكة، فقبض عليه واليها حين ذاك خالد بن عبد الله القسري، وبعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي فقال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. فقال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير. فقال: بل كانت أمي أعلم باسمي منك. قال: شقيت أمك وشقيت أنت. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. فقال: لو علمت ذلك لاتخذتك إلهاً. قال: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة وإمام الهدى. قال: فما قولك في عليّ؛ أهو في الجنة أم هو في النار؟ قال: لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها[٢]. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم[٣]. قال: أحب أن تصدقني. قال: إن لم أحبك لم أكذب عليك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خُلِقَ من طين والطين تأكله النار. قال: ما بالنا نضحك؟ قال: لم

(١) قال عنه الإمام أحمد رحمه الله «مات سعيد بن جبير وما من أحد إلا وهو محتاج إلى علمه» «الناشر».

(٢) ولا شك أن عليّ بن أبي طالب في الجنة «الناشر».

(٣) المقصود بالخلفاء هنا هو من جاء بعد الصحابة الكرام رضي الله عنهم «الناشر».

تَستوِ القلوب. وأراد الحجاج أن يغري سعيداً بمباهج الدنيا ولهوها، فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه، فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكى. ثم دعا الحجاج بالعود والناى، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناى بكى سعيد فقال الحجاج: ما يبكيك؟ أهو اللعب؟ قال سعيد:هو الحزن أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم النفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتاد فمن شاة تبعث معها يوم القيامة. فقال الحجاج: ويلك يا سعيد !! قال: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة. فقال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك. قال: اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني إلا قتلك الله مثلها في الآخرة. قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج ضحك، فَأُخبِرَ الحجاج بذلك فرده وقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك. قال الحجاج: اقتلوه. فقال سعيد: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، قال: وجهوا به لغير القبلة. قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، قال: كبوه على وجهه. قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، قال الحجاج: اذبحوه قال سعيد: أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دعا سعيد فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي، وكان ذبحه في شعبان سنة ٩٥ للهجرة ومات الحجاج بعده في رمضان من السنة نفسها، ولم يسلطه الله على أحد بعده إلى أن مات، ولما ذُبحَ سعيدٌ سال منه دم كثير

فاستدعى الحجاج الأطباء وسألهم عنه وعمن كان قتلهم قبله فإنه كان يسيل منهم دم قليل فقالوا: قُتل هذا ونفسه معه والدم تبع النفس وأما غيره فكانت نفسه تذهب من الخوف فلذلك قَلَّ دَمُهم. ولَمَّا علم الحسن البصري بأن الحجاج قتل سعيد بن جبير ذبحاً قال: اللهم ائت على فاسق ثقيف والله لو أن ما بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتل سعيد لَكَبَّهم الله عز وجل في النار.

– ولما حضرت الحجاجَ الوفاةُ كان يغيب ثم يفيق ويقول: مالي ولسعيد بن جبير وكان في مدة مرضه إذا نام رأى سعيداً آخذاً بمجامع ثوبه ويقول له: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيستيقظ مذعوراً، ويقول: مالي ولسعيد بن جبير ورؤى الحجاج في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتيل قتلته وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

وكان سعيد بن جبير من أحفظ الناس للقرآن الكريم وأعلمهم بتفسيره كما كان أعلمهم بالحديث والحلال والحرام. قال وفاء بن إياس: قال لي سعيد يوماً في رمضان: أمسك على القرآن فما قام من مجلسه حتى ختمه وقال سعيد عن نفسه قرأت القرآن كله في ركعتي نفل في البيت الحرام. رحمه الله وأثابه.

٧٢ قصة المرائين الثلاثة

قال ﷺ: «إن أول ناسٍ يُقضى بينهم يوم القيامة رجل استشهد فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرئ وقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم وعَلَّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فَعَرَّفَهُ نِعمَه

فعرفها، قال: فما عملت فيه؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ وقد قيلَ، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلقيَ في النار. ورجل وَسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتِيَ به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد (كريم) وقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلقيَ في النار[1]».

(رواه مسلم)

٧٣ قصة إبراهيم عليه السلام وآزر يوم القيامة

قال ﷺ: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة (سواد وظلمة) وغبرة. فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يُبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد (الأبعد من رحمتك). فيقول الله عز وجل: إني حرمتُ الجنةَ على الكافرين. ثم يقال له: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار (يعني ينظر إبراهيم عليه السلام فيجد آزر قد مسخ ضبعاً متلطخاً وأراد بالتلطخ التلوث بأقذاره والحكمة في مسخه ضبعاً أن الضبع أحمق الحيوانات فلما خالف نصيحة أخلص الناس له واتبع إغواء الشيطان مُسخ كأحمق حيوان)».

(رواه البخاري)

---

(١) وفي رواية قرأ أبو هريرة قول الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] «الناشر».

٧٤ قصة الملكين اللذين تركا ملكهما خشية الله

قال ﷺ: «بينما رجل فيمن كان قبلكم - كان في ملكه فتفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه. وأنه قد شغله عن عبادة ربه عز وجل فتسرب فانساب ذات ليلة من قصره، فأصبح في مملكة غيره فأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللبن بالأجر (الطوب النيء) ويأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقى (وصل) أمره إلى ملكهم وعبادته وفضله، فأرسل إليه ملكهم أن يأتي فأبى ثم أعاد عليه فأبى أن يأتيه وقال: مالي وماله؟ قال: فركب الملك فلما رآه ولى هارباً، فلما رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه فناداه: يا عبد الله إنه ليس عليك مني بأس فأقام حتى أدركه. فقال: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا فلان صاحب ملك كذا وكذا تفكرت في أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع وأنه قد شغلني عن عبادة ربي فتركته وجئت هاهنا أعبد الله عز وجل. قال له الملك: ما أنت بأحوج إلى ما صنعت مني. قال: ثم نزل عن دابته وسيبها فتبعه فكانا (الملكان) جميعاً يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعاً». قال عبد الله بن مسعود: فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعت الذي نعت لنا رسول الله ﷺ.

(رواه الطبراني في الكبير والأوسط)

ويستفاد من هذه القصة:

١- فضيلة الاعتبار والتفكر وأنه يؤدي إلى أحسن الغايات وأطيب الثمرات فإنه أدى بالملكين إلى هجر هذه الدنيا الفانية رغبة في الآخرة الباقية ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

٢- ويستفاد أن الأكل من كسب اليد مطلوب وأنه لا ينافي الزهد وإنما ينافيه التوسع في ملاذ الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمركب مما تركه هذان الملكان. وقد روى البخاري في صحيحه عن المقداد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**».

٧٥ فضل صلاة الجماعة

عن عبيد الله القواريري (شيخ البخاري ومسلم) رضي الله عنه قال: لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط. فنـــزل بي ليلةً ضيف، فَشُغلتُ بسببه[١]، وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد، فرجعت إلى بيتي وقلت: قد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة. فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة[٢]، ثم نمت فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا أيضاً على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض بفرسي فلا ألحقهم فالتفت إليّ أحدهم فقال لي: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا قلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك فانتهيت من منامي وأنا مغموم حزين لذلك.

(١) للأسف البعض يتحجج بالضيف في ترك صلاة الجماعة وهو عذرٌ غير مقبول شرعاً إذ الضيف نفسه مأمور بصـــلاة الجماعة فمن باب أولى مُضَيِّفُه فلا حرج أن يقول للضيف هيا بنا لأداء صلاة الجماعة «الناشر».

(٢) هذا الفعل لم يشرع لنا إذ الأصل في العبادات أنها توقيفية فصلاة الفريضة مرتين أو ثلاثة أو أكثر بدعة فانتبه «الناشر».

٧٦ من أهوال القبور

(أ) خرج محمد بن الوزير الحراني من داره بعد العصر إلى بستان. قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت في وسطه فجعلت أمسح عيني وأقول أنائم أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة وقلت: والله ما أنا بنائم ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب هذا القبر فإذا به مكاس (من أعوان الظلمة) قد توفى ذلك اليوم.

(ب) وعن الشعبي أنه ذكر رجلاً قال للنبي ﷺ مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب في الأرض ثم يخرج فيُفعل به ذلك فقال رسول الله ﷺ: ذلك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة.

(جـ) وعن سالم بن عبد الله عن أبيه قال بينما أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة إذ مررت بمقبرة فإذا برجل قد خرج من قبر يلتهب ناراً مصفداً في الحديد وفي عنقه سلسلة يجرها فقال: يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح. قال: فخرج آخر يتلوه ويتبعه فقال: يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح ثم اجتذب السلسلة فأعاده في قبره قال وغشي على الراكب وعدلت به راحلته التي يركبها إلى العرج قال وأصبح وقد ابيضّ شعره فأخبر عثمان بن عفان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده.

(د) وكان رجل من أهل المدينة وكانت له أخت في ناحية بالمدينة فماتت فدفنها فلما رجع تذكر أنه نسى شيئاً في القبر كان معه فاستعان برجل من أصحابه

قال: فنبشا القبر ووجدا ذلك المتاع فقال للرجل ابتعد أنت حتى أنظر إلى أختي فرفع بعض ما على اللحد فإذا هو مشتعل ناراً فرده بسرعة وسوى القبر ورجع إلى أمه وقال لها: كيف كان حال أختي فقالت: ولماذا وقد ماتت؟ فحكى لها ما شاهده في قبرها فقالت أمه كانت أختك تؤخر الصلاة عن وقتها وتأتي أبواب الجيران فتلقم أذنهما أبوابهم وتخرج حديثهم.

(هـ) وقيل لنباش كان ينبش القبور وقد تاب مَن ذلك قيل له: ما أعجب ما رأيت قال: نبشت رجلاً فإذا هو مسمر بالمسامير في سائر جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه ورأيت جمجمة إنسان مصبوب فيها رصاص وأغلب من كنت أنبش قبره كنت أراه مُحوَّلَ الوجه عن القبلة.

٧٧ تأثير القرآن العظيم على الصالحين

(أ) رأى منصور بن عمار شاباً يصلي صلاة الخائفين فنادى عليه: أيها الشاب أقرأت قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فلما سمع هذه الآية خر مغشياً عليه ولما أفاق قال: زدني. فقال: ألم تعلم أن في جهنم وادياً يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى فلم يستطع أن يتحمل هذه الموعظة من القرآن فسقط ميتاً. فكشف عن صدره فوجد مكتوباً عليه إنه في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية. يقول: فنمت متفكراً في حال هذا الرجل فرأيته في المنام يتبختر في الجنة وعلى رأسه تاج الوقار فسألته: بما نلت هذه المنـــزلة العالية؟ فقال لي: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي

جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]، يا ابن عمار لقد أعطاني الله تعالى ثواب أهل بدر وأكثر. فقلت له: لماذا؟ قال لأنهم ماتوا بسيف الكفار أما أنا فمت بسيف الملك الجبار. القرآن الكريم.

(ب) وحُكى عن مسروق رضى الله عنه أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، فاضطرب وأخذ يبكي وقال للقارئ: أعد عليَّ فمازال يعيد عليه هذه الآية وهو يبكي حتى وقع ميتاً رحمه الله فكان من قتلى القرآن.

(جـ) ويقول منصور بن عمار رضى الله عنه: دخلت الكوفة فبينما أنا أمشي في ظلمة الليل إذ سمعت بكاء رجل بصوت شجي من داخل دار وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكن عصيتك بجهل مني فالآن من ينقذني من عذابك؟ وبحبل من أعتصم إن قَطعتَ حبلك عني واذنوباه واغوثاه يا الله. قال منصور بن عمار: فأبكاني كلامه فوقفت فقرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. فسمعت للرجل صياحاً شديداً واضطراباً. فوقفت حتى انقطع صوته ومشيت فلما أصبحت أتيت إلى دار الرجل فوجدته قد مات والناس في تجهيزه وعجوز تبكي فسألت عنها فقيل هي أمه فتقدمت إليها وسألتها عن حاله فقالت: كان يصوم النهار ويقوم الليل ويكتسب الحلال فيقسم كسبه أثلاثاً، ثلث لنفقته وثلث لنفقتي وثلث يتصدق به فلما كان البارحة مر إنسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا.

(د) وروى أن مضر القارئ كان يقرأ هذه الآية: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩] فبكى عبد الواحد بن زيد حين سمعها حتى غُشي عليه فلما أفاق قال: «وعزتك وجلالك لا عصيتك جهدي أبداً فأعني بتوفيقك على طاعتك» ثم سمع قارئاً يقرأ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] فاستعادها من القارئ وقال: «كم أقول ارجعي» وأُغمى عليه خوفاً من الله وعذابه، وتاب إلى الله وصلح حاله بعد ذلك. وصدق الله إذ يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

(هـ) صلى زرارة بن أوفى بالناس صلاة الصبح فلما قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨، ٩] وقع ميتاً رحمه الله تعالى.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح سلمان الفارسي صيحة ووضع يده على رأسه وهام على وجهه ثلاثة أيام.

٧٨ أربع دعوات

كان هناك رجل سكير دعا قوماً من أصحابه ذات يوم فجلسوا ثم نادى على خادمه ودفع إليه أربعة دراهم وأمره أن يشتري بها شيئاً من الفاكهة للمجلس. وفي أثناء سير الخادم مر بالزاهد منصور بن عمار وهو يقول: من يدفع أربعة دراهم لفقير غريب دعوت له أربع دعوات. فأعطاه الخادم الدراهم الأربعة فقال له منصور بن عمار: ما تريد أن أدعو لك. فقال الغلام: لي سيد قاسٍ أريد أن أتخلص منه والثانية أن يخلف الله عليَّ الدراهم الأربعة، والثالثة أن يتوب الله على سيدي والرابعة أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم. فدعا له منصور بن عمار، وانصرف الغلام

ورجع إلى سيده الذي نهره وقال له: لماذا تأخرت وأين الفاكهة؟ فقص عليه مقابلته لمنصور الزاهد وكيف أعطاه الدراهم الأربعة مقابل أربع دعوات. فسكن غضب سيده وقال: وما كانت دعوتُك الأولى؟ قال سألت لنفسي العتق من العبودية. فقال السيد: قد أعتقتك فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى، وما كانت دعوتك الثانية؟ قال: أن يخلف الله عليّ الدراهم الأربعة. قال السيد: لك أربعة آلاف درهم. قال: وما كانت دعوتك الثالثة؟ قال: أن يتوب الله عليكَ. فطأطأ السيد رأسه وبكى وأزاح بيديه كؤوس الخمر وكسرها، وقال: تبت إلى الله لن أعود أبداً وقال: فما كانت دعوتك الرابعة؟ قال: أن يغفر الله لي ولك وللقوم. قال السيد: هذا ليس إليّ وإنما هو للغفور الرحيم فلما نام السيد تلك الليلة سمع هاتفاً يهتف به أنت فعلت ما كان إليك لقد غفر الله لك وللغلام وللمنصور بن عمار وللحاضرين أجمعين.

٧٩ عاقبة الحسد

ورد أن رجلاً ترك ولدين بعد مماته وخلف لهما مالاً لا بأس به فاقتسماه وتصرف كل منهما في حقه فاشتغل الابن الأصغر في التجارة وأخلص لله في عمله وكان كثير التصدق لا يبخل على عباد الله بنعمة فنمت تجارته وازدادت أمواله وأصبح ذا ثروة طائلة ولم يكن له أعداء لذلك كانت أمواله محصنةً لا يؤثر فيها حسد. أما الإبن الآخر فقد سلك طريق الغواية حتى أهلك ثروته في الخمر والميسر والزنا فنفدت أمواله عن آخرها وأصبح فقيراً لا يجد ما يقتات به ومع ذلك كان أخوه كثير العطف عليه يئويه ويقدم له من المأكل والملبس ما يكفيه. ولم يكتف هذا بعطف أخيه عليه بل أخذ الحسد يتمكن من قلبه لأخيه، وفكر في طريقة يُضيع بها ثروة أخيه حتى يسير مماثلاً له في الفقر وبذلك يطمئن قلبه فلا يعايره الناس بفقره

ويشيدون بسمعة أخيه فصار يجتهد للوصول إلى تنفيذ غرضه الدنيء وأخيراً اهتدى بوحي من إبليس إلى رجل حسود اشتهر بحسده وقليل من القوم من نجا مِن حسده. وكان الحاسد ضعيف البصر لا يكاد يرى إلا عن قُرب. فذهب الأخ الأكبر إلى هذا الرجل المشهور بحسده وطلب منه حسد أموال أخيه مقابل أجر يدفعه عند هلاك ثروته وأخذه إلى طريق كانت تمر منه تجارة أخيه فنبه الأخ الأكبر الرجل الحسود إليها (التجارة) قائلاً: استعد فقد قربت تجارة أخي وصارت على بُعد ميل واحد منا. فقال الرجل الحسود يا لِقوةِ بصرك أتراها على هذا البُعد يا ليت لي بصراً قوياً مثل بصرك فشعر صاحبنا بألم في رأسه وأظلمت عيناه وعمي في الحال ومرت تجارة أخيه سالمة لم يمسها سوء.

٨٠ من محاسن الحيل

(أ) روى أن أبا حنيفة – رضى الله عنه – أتاه رجل بالليل فقال: أدركني قبل الفجر وإلا طلقت امرأتي. قال: وماذاك؟ قال: تركت الليلة كلامها فقلت لها: «إن طلع الفجر و لم تكلميني فأنت طالق ثلاثاً» وقد توسلت إليها بكل أمر أن تكلمني فلم تفعل. فقال أبو حنيفة: اذهب فمُر مؤذن المسجد أن ينـــزل فيؤذن قبل الفجر فلعلها إذا سمعته أن تكلمك واذهب إليها وناشدها أن تكلمك قبل أن يؤذن المؤذن ففعل الرجل وجلس يناشدها وأذن المؤذن فقالت: طلع الفجر وقد تخلصت منك. قال: بل كلمتيني قبل الفجر وتخلصت أنا من اليمين.

(ب) ونظر رجل إلى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت وطالق إن نزلت وطالق إن وقفت. فرمت نفسها من على السلم وسط الدار. فقال لها: فداك أبي وأمي إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

(جـ) قال ضحاك بن مزاحم لنصراني: لماذا لم تسلم؟ قال: لحب الخمر. قال: أسلم ثم شأنك بها فلما أسلم النصراني. قال له: إن شربت حددناك (أقمنا عليك الحد) وإن ارتددت قتلناك فثبت الرجل على إسلامه.

(د) تغير هارون الرشيد يوماً على زوجته زبيدة، فقال لها: أنت طالق ثلاثاً إن بت الليلة في مملكتي. فاستفتوا في ذلك القاضي أبا يوسف فقال: تبيت في بعض المساجد فإن المساجد لله. فولاه الرشيد القضاء بجميع مملكته.

(هـ) قيل أن ملكاً من ملوك الفرس قرب إليه طباخه طعاماً فوقعت منه نقطة على المائدة على الملك. فأعرض الملك عنه إعراضاً تحقق به الطباخ قتله، فأمسك الطباخ بالإناء وكفأه وألقاه على المائدة وعلى الملك، فقال الملك: ما حملك على ما فعلت وقد علمت أن سقوط النقطة التي أخطأت بها يدك قد تؤدي إلى قتلك؟ فقال الطباخ: استحييت أن الناس تسمع عن الملك أنه استوجب قتلي واستباح دمي مع قديم خدمتي ولزومي حرمته في نقطة واحدة أخطأت بها يدي فأردت أن يعظم ذنبي فيحسن بالملك قتلي ويعــذر في قتلي من فعل مثل فعلي. فعفا عنه الملك وأمر بإعطائه جائزة.

٨١ قصة بناء البيت

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: جاء إبراهيم ﷺ بأم إسماعيل (هاجر) وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت (الكعبة) عند دوحة (شجرة عظيمة) فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه

أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها. قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا ثم رجعت. فانطلق إبراهيم ﷺ حتى إذا كان عند الثنية (مكان بمكة) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال: يتلبط (يتمرغ) فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها (قميصها) ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها، تنظر هل ترى أحداً؟ ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**فلذلك سعى الناس بينهما**» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صَه (اسكتي) - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فأغث (إن كان عندك عون فأعني) فإذا هي بالملك (جبريل عليه السلام) عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء (ماء زمزم) فجعلت تحوطه (تجعله مثل الحوض) وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس - رضى الله عنه: قال النبي ﷺ: «**رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً (ظاهراً جارياً على وجه الأرض)**» قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة (الهلاك) فإن هاهنا بيتاً

لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرهم أو أهل بيت من جُرهم مقبلين من طريق كُداء فنــزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً (يحوم حول الماء) فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا (رسولا) أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء. فقالوا: أتأذنين لنا أن ننــزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء (الحق مختص بي إن شئت منحت أو منعت). قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنــزلوا فأرسلوا إلى أهلهم (جرهم بن قحطان) فنــزلوا معهم حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشَبَّ الغلامُ وتعلم العربية منهم وأنفَسَهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك (بلغ) زوجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد تَزوُّجِ إسماعيل يُطالع تركتَه (يتفقد حال تركته) فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي (يطلب صيداً) لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يُغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني: كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غَيِّرْ عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك. فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه. قالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله. فقال: ما

طعامكم؟ قالت اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت:الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي ﷺ: «**ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ولو كان لهم دعا لهم فيه**» قال: فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يُثبِّتْ عتبةَ بابه. فلما جاء إسماعيل، قال:هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تُثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك (أدبم عصمتك فولدت لإسماعيل عشرة ذكور) ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة (شجرة كبيرة) قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (أي من المعانقة والمصافحة) قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني، قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني بيتاً هاهنا وأشار إلى أكمة (شرفة) مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (يعني المقام) فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة: ١٢٧]. (رواه البخاري)

ما يؤخذ من القصة:

يؤخذ منها أمور:

١- منهــا: إبراهيم - عليه الســلام - كان شديد الثقة بالله قوي الاعتماد عليه حيث ترك فلذة كبده، رُزق به بعد دعــاء وتوجه لله في مكان

قفر لا زرع فيه ولا ضــرع ولا جليس ولا أنيس تنفيــذاً لأمر الله وإسراعــاً في طاعته.

٢- ومنه: إن السعي لا ينافي التوكل فإن هــاجر - عليها السلام - لما سألت إبراهيم: آللهُ أمرك أن تتركنا بهذا المكان القفر؟ وقال لها: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. وتوكلت على الله ووثقت به ومع ذلك لما فنى منها الزاد والماء فقامت إلى الصفا والمروة تسعى بينهما تحــاول أن تجد أحداً يسعفها ولم يخدش ذلك توكلها بل جعــل الله مكان سعيها شعيرة من شعــائر الحج ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٥٨].

٣- ومنها: إن الإنسان إذا سئل عن حاله فلا يُظهِرُ الشكوى والتضجر بل ينبغي له أن يحمد الله ويثني عليه ويظهر رضاه بحاله. ألا ترى إلى امرأة إسماعيل الأولى حين شكت الضيق والشدة أمره إبراهيم بمفارقتها. وامرأته الأخيرة حين أثنت على الله وأظهرت رضاها بحالها أمره بإمساكها.

٤- ومنها: إن الأب الصالح إذا أمر ابنه بطلاق امرأته نفذ أمره. فقد طلق إسماعيل الأولى تنفيذاً لأمر أبيه. وأمر عمر بن الخطاب ابنه عبد الله - رضى الله عنهما - بطلاق امرأته فلم يفعل فشكاه إلى النبي ﷺ فأمره بفراقها.

٥- ومنها: إن الشخص لو حفر بئراً في أرض غير مملوكة لأحد كانت ملكاً له. فإن الناس استأذنوا هاجر في النــزول عندها شرطت عليهم ألا حق لهم في امتلاك الماء.

٦- ومنها: إن الملك قد يظهر للشخص الصالح ويكلمه فقد ظهر جبريل عليه السلام لهاجر وكلمها مبشراً لها بأن ابنها سيبني البيت مع أبيه وتلك كرامة أكرمها الله بها.

٧- ومنها:إن الشخص إذا قدم طاعة الله على حظ نفسه جعل الله البركة في أفعاله وما تلمسه بعض أعضائه فإن إبراهيم لما ترك ابنه في مكان قفر امتثالاً لأمر الله جعل البيت الذي بناه مباركاً وجعل الحجر الذي قام عليه وهو يبني البيت مكاناً يُصلى عنده.

(أ . هـ سير الصالحين بتصرف)

٨٢ لقمة بلقمة

عن وهب بن مُنبه قــال: بينما امرأة من بني إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثياباً وصبي لها يلعب بين يديها إذ جاءها سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي فجعلت تعدو خلفه وهي تقول يا ذئب ابني ابني فبعث الله ملكاً انتزع الصبي من فم الذئب ورمى به إليها وقال لقمة بلقمة.

٨٣ قصة ماشطة بنت فرعون

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة فقلت: ما هذه الرائحة؟ فقالوا: ماشطة (من تسرح الشعر بالمشط) بنت فرعون وأولادها، سقط مشطها من يدها فقالت: بسم الله. فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: ربي هو ربك ورب أبيك. قالت: أولك ربٌ غير أبي؟ قالت: نعم. فدعاها فقال: ألك ربٌ غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله. فأمر بنَقْرة[1]

(١) نقرة: إناء كبير «الناشر».

من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتُلقى فيها وأولادها فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال: قَعِي يا أمي ولا تقاعسي فإنك على الحق». قال: وتكلم أربعة وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم.

(رواه أحمد والبزار وابن حبان والحاكم وغيرهم)

٨٤ قصة الكافر الأول

كان عمرو بن لحي يطعم الناس ويكسوهم في المواسم وربما نحر في الموسم الواحد عشرة آلاف ناقة، وكسا عشرة آلاف شخص، كان كريماً والعرب تمدح هذه الصفة وكان شجاعاً والعرب تمدح هذه الصفة .. ومن هنا أحبه الناس وحرصوا على إرضائه والاستجابة لما يأمر به، فلا يبتدع للعرب بدعة إلا اتخذوها شريعة خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره وكان العماليق يومئذ بالشام فرآهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ فقال العماليق: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له (هبل) فقدم به إلى مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه واستجاب الناس له لأنه فيهم مطاع الكلمة بصير بشئون العبادة حتى أنه كانت بمكة صخرة يصنع عليها الخبز رجل من ثقيف ويقدمه للحجاج وكانت هذه الصخرة تسمى (صخرة اللات) أي الذي يلت العجين ويصنعه فلما مات هذا الرجل اللات. قال عمرو بن لحي: إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة وأمر قريشاً بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتاً يسمى (اللات) ففعلوا. ثم جاء الإسلام وعرف النبي ﷺ هذه الحقيقة، وعرف أن عمرو بن لُحي هو الذي جلب الصنم (هبل) من بلاد الشام وهو

الذي أمر قريشاً فاتخذت بيت اللات بل عرف أكثر من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه: (يا أكثم رأيت عمرو بن لُحي بن قمعة يجر قُصْبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه) فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «لا إنك مؤمن وهو كافر. إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام».

٨٥ حـلاوة الإيمـان
(قصة عبد الله بن حذافة مع هرقل الروم)

كان عبد الله بن حذافة من القادة المسلمين الذين اشتركوا في فتح بلاد الشام وقد أوكلت إليه مهمة محاربة أهل (قيسارية) المدينة الفلسطينية الحصينة على شاطئ البحر المتوسط - ولكن قدر الله أن يفشل عبد الله بن حذافة في إحدى المعارك وأن يقع أسيراً بيد الروم.

ووجدها هرقل فرصة مناسبة لإيذاء المسلمين والانتقام منهم فأحضر عبد الله بن حذافة أمامه وأراد أن يفتنه عن دينه ويبعده عن إسلامه. فبدأ معه بسلاح الإغراء والمساومة فقدم له عروضاً مغرية. قال له:أدخل النصرانية ولك ما تشاء من الأموال. ورفض ابن حذافة هذا العرض ! ثم قال له هرقل: ادخل النصرانية وأزوجك ابنتي. ورفض ابن حذافة العرض الثاني. ثم قال له هرقل:ادخل النصرانية وأشركك في ملكي. ورفض ابن حذافة العرض الثالث.

(*) نقلاً من كتاب القصص النبوي للسيد شحاتة والسيد تقي الدين.

وعرف هرقل أنه أمام نوع خاص من الرجال فعرض عليه العرض الرابع قال له: ادخل النصرانية وأعطيك نصف ملكي ونصف مالي فأجابه ابن حذافة إجابة ثابتة قاطعة: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما يملك العرب ما رجعت عن دين محمد ﷺ طرفة عين. لجأ هرقل – بعد فشله في عروضه ومساوماته وإغراءاته – إلى سلاح الاضطهاد والتعذيب والتهديد والوعيد. فقال له: إذن أقتلك؟ وما درى هرقل أن من ينتصر على سلاح الإغراء والمساومة ينتصر على سلاح الاضطهاد والتعذيب وأن الذي يدوس على الدنيا بقدميه لن يبخل عن تقديم روحه فداءً لدينه. فقال لهرقل: أنت وذاك. فوضع ابن حذافة في السجن ومنع عنه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم قدم له الخمر ولحم الخنـــزير ليأكله ولكن ابن حذافة رفض أن يذوقه، واستمر أياماً بدون طعام أو شراب حتى أوشك على الموت. فأخرجه هرقل وقال له: ما منعك أن تأكل من الخمر والخنـــزير وأنت مضطر جائع؟ فقال له أمَا إنّ الضرورة قد أحلتها لي. ولا حرمة عليّ لو أكلتها ولكني آثرت أن لا آكل، حتى لا أجعلك تشمت بالإسلام !! ثم أمر هرقل به فصلبوه، وأوثقوه على الخشبة، وصار الرماة يرمون السهام قريباً من بدنه، وهو ثابت. وهرقل يعرض عليه التنصر، وهو يأبى ! ثم أنزله. وأمر بوضع ماءٍ في قدر عظيمة، وإشعال النار تحتها. ولما صار ماء القدر يغلي، جيء بأسير مسلم، فأكفى فيها فذاب لحمه في الماء، وتحول إلى هيكل عظمي، ثم أُلقي فيها أسيرٌ مسلم ثانٍ. وابن حذافة ينظر !!.

ثم أمر هرقل بإلقاء ابن حذافة في الماء الذي يغلي، فلما أخذوه ليلقوه بكى !! فقيل لهرقل: إنّ ابن حذافة بكى. فظن هرقل أن بكاء ابن حذافة لخوفه من الموت، وأنه يدل على تراجعه عن موقفه، وتنازله عن ثباته، وأنه سيستجيب له ! فدعاه. وعرض عليه التنصر فأبى !! فقال له: إذن لماذا بكيت؛ فأجابه جواباً عجيباً حقاً

أعجزه، وأثبت له فشله معه وهزيمته أمامه: بكيتُ، لأني لا أملك إلا نفساً واحدة أبذلها فداءً لديني في سبيل الله، وتمنيت لو كان لي بعدد شعري أنفسٌ أبذُلها فداءً لديني، وتموت كلها في سبيل الله !! وأيقن هرقل بهزيمته أمام ابن حذيفة. هزيمته وهو يملك المال والجاه والسلطان والقوة والدنيا، أمام رجل مسلم أعزل مجرد من كل هذه المظاهر فعرض عليه العرض الأخير الانهزامي.

– حفظاً لماء وجهه – : يا ابن حذافة. هل لك أن تقبل رأسي، وأُخلي عنك، وأُطلق سراحك؟ قال ابن حذافة: نعم. على شرط أن تطلق معي سراح جميع الأسرى المسلمين في سجونكم – وكانوا أكثر من ثلاثمائة أسير – !! وقبَّل ابن حذافة رأس هرقل، وخرج بإخوانه إلى عمر بن الخطاب في المدينة، وأخبر قصته مع هرقل؛ وتحرج بعض الصاحبة من تقبيل ابن حذافة رأس هرقل ولاموه عليه، ولم يلتفتوا للثمن الكبير من الأسرى الذين أطلق – سراحهم تلك القبلة .. ووافق عمر ابن حذافة على تصرفه – وقال له حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة. وأنا أبدأ بذلك. وقام عمر إلى ابن حذافة، وقبل رأسه، وتبعه باقي الصحابة(*).

٨٦ قصة الباحث عن الحقيقة
(سلمان الفارسي)

كان سلمان رجلاً فارسياً من أهل أصبهان وكان أبوه شيخ القرية وكان سلمان أحب خلق الله إليه، وتدين سلمان بالمجوسية واجتهد في دينه حتى كان خادم النار الذي يمنعها أن تخبو ساعة لأن قريته كانت تعظم النار.

(*) نقلاً من ثوابت للمسلم المعاصر للدكتور صلاح الخالدي.

وكان لوالد سلمان ضيعة (مزرعة أو عزبة) فقال يوماً لسلمان اذهب إليها وتعرف أخبارها. فخرج سلمان وبينما هو يسير في الطريق مر بكنيسة للنصارى فسمعهم يصلون فدخل عليهم لينظر ماذا يصنعون فلما رآهم أعجبته صلاتهم ورغب في المسيحية وقال (هذا والله خير من ديننا) وظل سلمان معهم حتى غابت الشمس وترك ضيعة أبيه فلم يذهب إليها ثم سأل النصارى - حين أعجبه أمرهم - عن أصل دينهم فقالوا: في الشام. ولما رجع سلمان إلى والده قال له: إني مررت على قوم يصلون في كنيسة لهم فأعجبتني صلاتهم ورأيت أن دينهم خير من ديننا .. فقال له والده: يا بني ليس في ذلك الدين خير، دينُك (المجوسية) خير منه. فقال له سلمان: كلا والله إنه لخير من ديننا. ولم يكد والد سلمان يسمع ذلك حتى خاف على سلمان من أن يترك المجوسية ويتدين بالمسيحية،فقيده في رجله وحبسه في بيته. وأرسل سلمان إلى النصارى برسالة يخبرهم فيها أنه قد دخل في دينهم وقال فيها: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم لأرحل إلى الشام معهم. وقد فعلوا فحطم سلمان الحديد والقيد وخرج معهم إلى الشام. وهناك سألهم: مَنْ أفضل أهل هذا الدين علماً؟ فقيل له: الأسقف في الكنيسة فذهب سلمان إليه وقال له: إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك في كنيستك فأتعلم منك وأصلي معك. فقال له الأسقف: ادخل. فدخل سلمان معه .. وكان الأسقف رجلُ سوء يأمرهم بالصدقة ليوزعها ثم يكتنـزها لنفسه ولم يعطها للفقراء والمساكين حتى جمع سبعَ قلالٍ من ذهب وفضة فأبغضه سلمان بغضاً شديداً، فلما مات الأسقف اجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقال لهم سلمان: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ثم يأخذها لنفسه ولم يُعطِ المساكين منها شيئاً وأنا أدلكم على كنـزه فلما أراهم موضعه استخرجوا سبع قلال مملوءة

ذهباً وفضة فلما رأوها قالوا: والله لاندفنه أبداً فصلبوه ورجموه بالحجارة. وجاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فكان غير سلفه إذ كان رجلاً متديناً صالحاً زاهداً راغباً في الآخرة فأحبه سلمان كثيراً وأقام معه طويلاً ثم حضرت الأسقفَ الوفاةُ فقال له سلمان إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى: فبمَ تأمرني وإلى مَنْ توصي بي؟ قال الأسقف: أي بني ما أعرف أحداً من الناس على مثل ما أنا عليه إلا رجلاً بالموصل. فلما توفي ذهب سلمان إلى صاحب الموصل فأخبره بما كان وأقام معه ما شاء الله أن يقيم ثم حضرته الوفاة فسأله سلمان: بم تأمرني وإلى من توصي بي؟ فقال الأسقف: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ماكنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فَالْحَقْ به فلما مات الأسقف لحق سلمان بصاحب نصيبين وأخبره بأمره ثم أقام معه ما شاء الله أن يقيم فلما حضرته الوفاة- سأله سلمان إلى من توصي بي؟ وبمَ تأمرني؟ فأمره الأسقف أن يلحق برجل في عمورية من بلاد الروم، فأقام سلمان معه ووجده خير رجل على هدى أصحابه. ثم اشتغل سلمان بتجارة البقر والأغنام حتى كانت له بقرات وغنيمات. ثم حضرت الأسقف الوفاة فقال له إلى من توصي بي؟ فقال: يا بني ما أعرف أحداً على مثل ماكنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يُبعث بدين إبراهيم حنيفاً يخرج بأرض العرب. يُهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرتين (المدينة) وإن له آيات لا تخفى فهو لا يأكل الصدقة .. ويقبل الهدية وبين كتفيه خاتم النبوة ثم مات الأسقف. قال سلمان: (ومر بي ركب ذات يوم فسألتهم عن بلادهم فعلمت أنهم من جزيرة العرب فقلت لهم: أعطيكم بقراتي هذه وغنمي على أن تحملوني معكم إلى أرضكم؟ قالوا: نعم) يقول سلمان واصطحبوني معهم حتى قدموا بي وادي القرى وهناك ظلموني وباعوني إلى رجل

يهودي[1] .. وبصرت بنخل كثير فطمعت أن تكون هي البلدة التي وُصِفت لي والتي ستكون مهاجر النبي المنتظر ولكنها لم تكن هي ولم يطل بسلمان الأمر فبينما هو عند الرجل الذي اشتراه حتى قدم عليه يوماً رجل من يهود بني قريظة فاشترى سلمان من سيده ثم خرج إلى المدينة فلما رآها سلمان تيقن أنها البلد التي وصفت له. وبُعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ثم هاجر إلى المدينة. وذات يوم وبينما كان سلمان على رأس نخلة من نخل سيده وسيده جالس تحت النخلة إذ أقبل ابن عم لسيده وقال (قاتل الله بني قيله «الأوس والخزرج» والله إنهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. فلما سمع سلمان هذا الحديث أخذته رعدة وانتفض حتى أوشك أن يسقط من على النخلة ثم نزل سلمان سريعاً وقال لسيده: ماذا تقول؟ ما الخبر؟ فرفع سيده يده وَلكَمَ سلمان لكمةً شديدة ثم قال له: مالك ولهذا. أقبل على عملك .. فلما جاء المساء أخذ سلمان معه طعاماً ثم ذهب به إلى رسول الله ﷺ بقباء فدخل عليه ومعه نفر من أصحابه فقال لهم سلمان: إنكم أهل حاجة وغربة وقد كان عندي طعام نذرته للصدقة وأنتم أحق به من غيركم ثم وضعه سلمان فقال الرسول ﷺ لأصحابه: كلوا باسم الله .. وأمسك هو فلم يأكل. فقال سلمان في نفسه هذه واحدة .. إنه لا يأكل الصدقة. ثم رجع سلمان في الغداة يحمل طعاماً وقال للنبي ﷺ: رأيتك لا تأكل الصدقة. وهذه هدية أكرمتك بها فقال النبي ﷺ لأصحابه كلوا باسم الله .. وأكل معهم فقال سلمان في نفسه هذه الثانية .. إنه يأكل الهدية. ثم رجع سلمان ثم أتاه

---

(١) قال سلمان: تداولني بضعة عشر سيداً. أي بيع ثلاث عشرة مرة كل هذا من أجل أن يصل إلى حقيقة دين الله فيالها من نفوسٍ زكية عاشت لله تريد وجه الله وما أغلى الدين عندها، ويا لخسارة قوم جعلوا الدين آخر شيء يفكرون فيه بل يرقعون دنياهم بتمزيق دينهم !! «الناشر».

فوجده في البقيع وكان النبي ﷺ يتبع جنازة وحوله أصحابه فسلم عليه ثم استدار سلمان ينظر إلى ظهر الرسول ليرى الخاتم الذي وصفه له صاحب عمورية فلما رآه رسول الله كذلك عرف أن سلمان يبحث عن شيء وُصِفَ له فألقى رداءه عن ظهره ونظر سلمان إلى الخاتم فعرفه كما وُصِفَ له فأكبَّ على رسول الله يقبله ويبكي وحكى له حديثه وقص عليه قصته ثم أسلم سلمان وحال الرق بينه وبين شهود بدر وأحد. وفي ذات يوم قال الرسول ﷺ **(كاتب سيدك يُعتقك)** فكاتبه وأمر الرسول الصحابة بمعاونة سلمان حتى أصبح حراً وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق وكان صاحب فكرة حفر الخندق ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .. وقال الرسول ﷺ فيه: **(سلمان منا آل البيت)**.

٨٧ تحريم الخمر ولو للتداوي

عن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه، فقال: لا أقولها وأنا بريء منها فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يُسحب به إلى النار. فقال له: يا مسكين بم نزعت منك المعرفة؟ فقال: يا أستاذ كان بي مرض وعلة فأتيت بعض الأطباء فقال لي: تشرب في كل سنة قدحاً من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك. فكنت أشربها في كل سنة لأجل التداوي. فهذا حال من يشربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟! وقد قال ﷺ: **«إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها[1]»**.

---

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ج ١٦٣٣) وعلقه البخاري موقوفاً على ابن عباس انظر الفتح (٨١/١٠) «الناشر».

٨٨ قصة يحيى وعيسى عليهما السلام والكلمات الخمس

عن الحارث الأشعري – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بها وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وأنه كاد أن يبطئ بها فقال له عيسى عليه السلام إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بها وتأمر بها بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمرهم بها وإما أن آمرهم أنا بها. فقال يحيى عليه السلام: أخشى إن سبقتني بها يُخسف بي أو أُعذّب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشُرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأن آمركم أن تعملوا بهن. أولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق وقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إليّ – فكان يعمل ويؤدي لغير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك. وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت. وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك وكلهم يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير فَفَدىَ منهم. وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى». وقال ﷺ: «وأنا آمركم بخمسٍ اللهُ تعالى أمرني بهن: السمع

والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن من فارق الجماعة قِيدَ شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم. فقال رجل: وإن صام يا رسول الله؟ قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم فادعوا بدعوى الله (الشهادة) الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله».

(رواه الترمذي والحاكم بسند صحيح)[1]

٨٩ قصص من مشاهد القيامة

روى أبو سعيد: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: نعم، فهل تضارون[2] في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أَذّنَ مؤذن لِتتبعْ كلُّ أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر غير أهل الكتاب فيُدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: نعبد عزير بن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم تُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح بن الله. فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألاَ تَرِدُون؟ فيحشرون

---

(١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤) «الناشر».

(٢) تضارون أي تزدحمون ويضار بعضكم بعضاً من أجل رؤية الشمس «الناشر».

إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم و لم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم يكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله مرة تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلا جعل ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه. ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: أنت ربنا. ثم يُضربُ الجسُر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم. قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مُنَاشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فَتُحرَّمُ صورُهم على النار فَيُخرِجُون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به. فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً مما أمرتنا. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم

نذر فيها خيراً. وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾** [النساء: ٤٠] فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض. فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال ﷺ: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه. ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم. فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعطَ أحداً من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً. (رواه مسلم)

- وقال ﷺ: **«يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع؟ أكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني»**.

(رواه مسلم والترمذي)

- وعن أنس – رضي الله عنه – قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم؟ قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: إني لا أجيز اليوم على نفسي شاهداً إلا مني. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً والكرام الكاتبين

شهوداً فيُختم على فيه ويقول لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يُخلى بينه وبين الكلام فيقول بُعداً لَكُنَّ وسُحقاً فعنكن كنت أناضل». (رواه مسلم)

٩٠ فضل الصدق

قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزو تبوك

عن عبد الله بن كعب بن مالك – وكان قائد أبيه كعب من بنيه حين عمى – قال: سمعت كعب بن مالك يحدث بحديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. قال كعب رضي الله عنه: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنه إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عِير[1] قريش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها (أوهم أنه يريد غيرها – الحرب خدعة) حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل عدواً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم (بقصدهم) الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد بذلك الديوان) قال كعب: فَقَلَّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن

---

(١) العِيرُ: قافلة التجارة.

ذلك سيخفي به ما لم ينـــزل فيه وحي من الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت (أينعت) الثمار والظلال فأنا إليها أصعر (أميل) فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه وطفقت (شرعت) أعدو لكي أتجهز معه فأرجع و لم أقض شيئاً وأقول – في نفسي – أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد (الاجتهاد) فأصبح رسول الله ﷺ غازياً والمسلمون معه و لم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت فرجعت و لم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط (تقدم الغزاة) الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم فياليتني فعلت ثم لم يُقدَّر ذلك لي فطفقت إذا خرجت في الناس (المتخلفين) بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً (مطعوناً عليه بأنه منافق) عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء و لم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُراده والنظرُ في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل – رضي الله عنه –: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول (يتحرك) به السراب فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة فإذا أبو خيثمة الأنصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه (طعنه المنافقون فقالوا إن الله غني عن صاع هذا) قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً (راجعاً) من تبوك حضرني بثي (حزني) فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً (لا أسلم بالكذب أبداً) فأجمعت صدقَه (عزمت على الصدق) وأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع

فيه ركعتين ثم جلس الناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون (المتخلفون عن الخروج معه إلى غزوة تبوك) يعتذرون إليه ويحلفون له. وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكَلَ سرائرهم (ما أخفوه من النفاق) إلى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت تَبَسَّمَ تَبسُّمَ المُغضب (الغضبان) ثم قال: تعالَ. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «ما خَلَّفَك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك (اشتريت الإبل)». قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر لقد أُعطيتُ جدلاً (فصاحة) ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني ليوشكن الله يُسخِطُك عليَّ وإن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك**». وسار (وثب) رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني (يلومونني) حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فَأُكَذِّب نفسي ثم قلت لهم: هل لقى هذا معي من أحدٍ؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين مَنْ تخلف عنه. قال: فاجتنبنا الناس - أو قال تغيروا لنا - حتى تنكرت (تغيرت) لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا

في بيوهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم (أصغرهم سنا)(*) وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ وإذا التفتُ نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ فسلمت عليه فوالله ما رد عليَّ السلام فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله (أسألك بالله) هلى تعلمني أحب الله ورسوله ﷺ فسكت فعُدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي (فلاح) من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: مَنْ يدل على كعب بن مالك؟ فطفق (أخذ) الناس يشيرون له إليّ حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك (أعرض عنك) ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نُواسِك. فقلت حين قرأها: وهذه أيضاً من البلاء فتيممت (قصدت) بها التنور فسجرها (حرقتها) حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث (أبطأ) الوحي إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل. فقال: لا بل اعتزلها فلا تقربنها. وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع (كبير السن)

(*) الكلمات التي بين قوسين ليست من الحديث وإنما هي من إضافة المؤلف لتوضيح المعنى.

ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا ولكن لا يقربنك. فقالت: إنه والله ما به من حركة إلى شيء ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوتاً صارخاً أوفى على (صعد على) جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج. فأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قِبلَ (جهة) صاحبيَّ مبشرون وركض إليّ رجل فرساً وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى (طلع) على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشراه والله ما أملك غيرها يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأمم (أقصد) رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ويقولون لي: لتهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه – يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق (يتلألأ وجهه بالأنوار) وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**». فقلت: أمن عندك يا رسول الله ﷺ أم من عند الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا بل**

من عند الله عز وجل». وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع (أخرج) من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله. فقال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر وقلت يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت. فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى (أنعم عليه) في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧] حتى بلـغ: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ، وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨] حتى بلغ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله تعالى قـال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قـال لأحد. فقـال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦]، قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبلَ منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله منه بذلك. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُو

وليس الذي ذَكَر مما خُلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فَقَبِلَ منه.

(رواه البخاري ومسلم)

ويؤخذ من هذه القصة:

١- إخفاء الغزو والتورية بغيره ضرب من المكيدة المطلوبة في الحرب.

٢- أنَّ مَنْ سمع غيبةً في مسلم دافع عنه فإن الرجل لما اغتاب كعب بن مالك رد عليه معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، وفي الحديث: «**من رد عن عرض أخيه ردَّ اللهُ عن وجهه النارَ يوم القيامة**[1]».

٣- إن المسلم إذا قدم من سفر يستحب له أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتين شكراً لله على عودته إلى أهله وبلده.

٤- إن العاصي يصح هجره تأديباً له. لأن النبي ﷺ نهى المسلمين عن تكليم كعب وصاحبيه. وقال الخطابي على قول كعب: ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة ما نصه: فيه من العلم أن تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث إنما هو فيما يكون بينهما من قبل عتب وموجدة أو لتقصير في حقوق عِشرةٍ ونحوها دون ما كان من ذلك في حق الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق.

---

(١) رواه البيهقي بلفظ قريب منه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦٣) «الناشر».

٥- لإمام المسلمين أن يعزر بعض العصاة بنهي الناس عن الكلام معه. أما أمر القاضي باعتزال امرأته لمدة معينة فلا يجوز للإمام وإنما هو من خصوصيات النبي ﷺ.

٦- إن قول الرجل لامرأته الحقي بأهلك لا يكون طلاقاً إلا بقرينة تدل عليه.

٧- استحباب سجود الشكر لحدوث نعمة لقول كعب: فخررت ساجداً وقد صح سجود الشكر من فعل النبي ﷺ حين بشره جبريل عليه السلام بأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشراً[١].

٨- إن سجود الشكر يصح في وقت الكراهة فقد سجد كعب بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس وهو وقت تكره فيه الصلاة.

٩- استحباب التهنئة بحدوث نعمة دينية فقد بشر النبي ﷺ كعباً بتوبة الله عليه وبشره الصحابة أيضاً.

١٠- استحباب إعطاء البشير هدية جزاء بشارته. فقد أعطى كعب للذي بشره بتوبة الله عليه وهو حمزة بن عمرو الأوسي ثوبيه.

١١- جواز القيام للداخل على سبيل الإكرام والمجاملة فقد قام طلحة لكعب وهنَّأه. وحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوء مقعده من النار» لا ينهي عن القيام ولكن ينهي عن حب الشخص قيام الناس له لأنه تعاظم وتكبر[٢].

١٢- استحباب إخراج جزء من المال صدقة لله تعالى إذا حدث للمسلم فرج من شدة أو شفاء من مرض أو نحو ذلك.

---

(١) وليس لسجود الشكر تسليم وهي سجدة واحدة «الناشر».

(٢) وأشد أنواع القيام تحريماً ما يفعله الأعاجم بعظمائهم وملوكهم يقومون لهم وهم (أي العظماء) جلوس «الناشر».

١٣- إنه لا يُفَضَّل التصدقُ بالمال كله. فقد قال كعب: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله تعالى وإلى رسوله. فقال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو** خير **لك**». (أ . هـ سير الصالحين بتصرف)

٩١ قصة الإسراء والمعراج

قال الإمام البخاري، عن أنس بن مالك يقول: ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم، حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه - وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطِستٍ من ذهب مَحشوٍ إيماناً وحكمة فَحَشا به صدره ولغاديده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل، فقالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد. قالوا: وقد بُعثَ؟ قال: نعم. قالوا: فمرحباً به وأهلاً. فيستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يُعلمَهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك آدم فَسَلِّمْ عليه، فَسلَّمَ عليه، ورد عليه آدم، فقال: مرحباً وأهلاً يا بني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: «**ما هذان النهران يا جبريل؟**» قال: هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ

وزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الكوثر الذي خَبَّأه لك ربك،ثم عرج به إلى السماء الثانية، فقالت: الملائكة له مثل ما قالت له الملائكة الأولى: من هذا؟ قال: جبريل. قـــالوا: ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به وأهلاً، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك. كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السابعة وموسى في السادسة بتفضيل كلام الله تعالى، قال موسى: رب لم أظن أن ترفع عليّ أحداً.

ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط به حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى فقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عهد خمسين صلاة كل يوم وليلة» قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس، فقال وهو مكانه: «يا رب خفف عنّا فإن أمتي لا تستطيع ذلك» فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يرده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع

فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: «**يا رب إن أمتي ضعفاء، أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم، فخفف عنا**»، قال الجبار: تبارك وتعالى: يا محمد، قال: «لبيك وسعديك» قال: إنه لا يُبَدَّلُ القولُ لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: «خفف عنَّا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها» قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ: «يا موسى قد والله استحييت من ربي عز وجل مما أختلف إليه» قال فاهبط باسم الله. قال: واستيقظ وهو في المسجد الحرام. فكذا ساقه البخاري في كتابه التوحيد.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ في آية الإسراء: أنه أُتي بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رَضِخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة. قال: ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد. ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم من قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون

اللحم الطيب فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالاً طيباً فيأتي المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح، ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء إلا قصفته (خرقته) يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦] ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها قال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها. ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يُفَتَّرُ عنهم شيء قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع وقال ﷺ: «**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدروهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**[1]».

وذكر البيهقي من رواية أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: فصعدت أنا وجبريل فاستفتح جبريل فإذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين. ثم تُعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول: روح خبيثة اجعلوها في سجين. ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأَخْوِنَةٍ (مائدة) عليها لحم طيب ليس يقربها أحد وإذا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن وعندها ناس يأكلون فيها. قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء يتركون الحلال ويأتون الحرام. قال: ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام بطونهم

(١) ما بين القوسين حديث صحيح رواه الترمذي عن أنس.

مثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة. قال: وهم على سابلة فرعون قال: فتجيء السابلة فتطأهم فيصيحون. قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [البقرة: ٢٧٥] قال: ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بقوم مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواهم فيلقمون الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يصيحون قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يصحن. قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزواني. ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال: كل كما كنت تأكل لحم أخيك. قلت: من هؤلاء؟ قال: الهمازون من أمتك.

٩٢ قصة آمر أولاده بحرقه بعد موته

قال ﷺ: «كان رجل لم يعمل حسنة قط قال لأهله: إذا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه (أي حكم والمراد حاسبني) ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين: فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم. فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر أن يجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت هذا (ما حملك على ما صنعت) قــال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم. فغفر الله تعالى له». (رواه البخاري ومسلم)

٩٣ قصة أبي طلحة وزوجته أم سليم

عن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض (مــات) فلما رجع أبو طلحة قــال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم

- وهي أم الصبي -: أسكن ما كان (تقصد أنه مات. وفهم ابو طلحة أنه تماثل للشفاء) فقربت له العشاء فتعشى ثم تصنعت (تزينت) أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها (أي جامعها) فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. فقالت: فاحتسب ابنك (أي ابنك مات فاطلب الأجر من الله) قال: فغضب ثم قال: تركتني حتى إذا تلطخت (أي أصابتني جنابة بسبب الجماع) ثم أخبرتيني بابني. فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما قال فأقر ﷺ أم سليم على ما فعلت ثم قال: «**بارك الله ليلتكما**» وفي رواية قال: «**اللهم بارك لهما**» فولدت غلاماً سماه النبي ﷺ عبد الله فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن - يعني من أولاد (عبد الله) المولود - وما ذاك إلا استجابة لدعوة رسول الله ﷺ حين دعا «**اللهم بارك لهما**». (رواه الشيخان)

٩٤ قصة الإفك

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة رضي الله عنها: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي؛وخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعدما أُنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة آذن[1] ليلة بالرحيل، فقمت حين آذن بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد

(١) آذن: أعلم.

لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاءه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني، فاحتملوا هودجي فرَحَّلُوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة[1] من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فتيممت منـــزلي[2] الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة في منـــزلي غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس[3] من وراء الجيش، فأدلج[4] فأصبح عند منـــزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وقد كان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه[5] حين عرفني فخمرت وجهي[6] بجلبابي والله ما كلمني ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حيث أناخ راحلته، فوطيء على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره (عبد الله بن أبي بن ســـلول) فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمناها شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا

---

(١) العلقة: القليل.

(٢) فتيممت منـــزلي: قصدته.

(٣) عرس: التعريس النـــزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة.

(٤) أدلج: هو سير الليل.

(٥) فاستيقظت باسترجاعه: أي انتبهت من نومي على قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٦) فخمرت وجهي: غطيته. وهذا الفعل يدل على أن ستر الوجه عن الأجانب واجب شرعاً وهو من لوازم الحجاب «الناشر».

أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من رسول الله ﷺ اللُّطفَ الذي أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل ﷺ فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**»[١] فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت[٢]، وخرجت معي أم مسطح قِبَل المناصع[٣] وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليـــلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف[٤] قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنـــزه في البرية، وكنا نتأذى بالكُنف أن نتخذها في بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رُهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمهـــا ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل بيتي حتى فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها[٥] فقـــالت: تعس مسطح، فقلت لها، بئسما قلت، تسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: أي هنتاه[٦] ألم تسمعي ما قـــال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهـــل الإفـــك؟ فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي قلتُ آتي أبويَّ. قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبويَّ، فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به؟ فقـــالت: أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قـــالت: فقلت: سبحان الله وقد تحـــدث

(١) كيف تيكم: هي إشارة إلى المؤنثة.
(٢) نقهت: تماثلت للشفاء وهي فترة ما بعد المرض.
(٣) المناصع: أماكن كانوا يتبرزون فيها خارج المدينة.
(٤) الكُنف: جمع كنيف، قال أهل اللغة الكنيف الساتر مطلقاً.
(٥) مرطها: كساء من صوف.
(٦) هنتاه: يا هذه، وقيل يا امرأة، وقيل يا بلهاء.

الناس بها، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع[١]، ولا أكتحل بنوم[٢] ثم أصبحت أبكي.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ (علي بن أبي طالب) و(أسامة بن زيد) حين استلبث[٣] الوحي، يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال أسامة: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل جارية تصدقك الخبر، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «**أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟**» قالت بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً قط أغمص عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتيها الداجن فتأكله.[٤] فقام رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين من يعذرني[٥] من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عنه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي**» فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال: أنا أعذرك فيه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا

---

(١) لا يرقأ لي دمع: لا ينقطع.

(٢) ولا أكتحل بنوم: أنام.

(٣) استلبث الوحي: أبطأ ولم ينــزل.

(٤) معنى هذا الكلام: أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلاً ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين. ومعنى كلمة أغمصها: أعيبها.

(٥) فاستعذر: قال من يعذرني فيمن آذاني في أهلي. ومعنى من يعذرني: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني. وقيل معناه: من ينصرني.

أمرك قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية[1] فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال: لسعد بن عبادة كذبتَ لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يُخفضُهُم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذا استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «**أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب الله عليه**» قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي[2] حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيـبي رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيراً من القرآن: والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة – والله يعلم إني بريئة – لا تصدقوني ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أني منه بريئة

---

(١) ولكن احتملته الحمية: أغضبَه وحملته على الجهل.

(٢) قلص دمعي: ارتفع.

لتُصَدِّقُني فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت: وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة وأن الله تعالى مبرئي ببرائتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينـــزل في شأني وحيٌ يُتلى ولشأني كان أحقرَ في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله ما رام[١] رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[٢] عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق[٣] وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فسرى[٤] عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برّأك» قالت: لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ...﴾ [النـــور: ١١] العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هـــذا في براءتي قـــال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقـــره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قـــال لعائشة فأنزل الله تعـــالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى ...﴾[٥] إلى قـــوله: ﴿أَلاَ تُحِبُّـــونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ

---

(١) ما رام: ما فارق.

(٢) فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء: هي الشدة.

(٣) حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق: معنى ليتحدر: لينصب. والجمان: هو الدر. شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن.

(٤) فسرى: أي كشف وأزيل.

(٥) ولا يأتل: لا يحلفوا والألية اليمين.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل (زينب بنت جحش) زوج النبي ﷺ عن أمري فقال: «**يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟**» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري[1] والله ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني[2] من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع وطفقت أختها (حمنة بنت جحش) تحارب لها[3] فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط[*].

(رواه البخاري ومسلم)

قال النووي رحمه الله تعالى:

واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة:

إحداها: وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن.

الثانية: جواز سفر الرجل بزوجته وجواز غزوهن وجواز ركوب النساء في الهوادج وجواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار.

الثالثة: جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج وهذا من الأمور المستثناة.

(*) الكلمات التي بين قوسين ليست من الحديث وإنما هي إضافة المؤلف لتوضيح المعنى.

(١) أحمي سمعي وبصري: أي أصون سمعي وبصري من أن أقول سمعت و لم أسمع وأبصرت و لم ابصر.

(٢) تساميني: تفاخرني وتضاهيني بجماها.

(٣) معناه: جعلت تتعصب لها فتحكي ما يقوله أهل الإفك.

الرابعة: أن من يُركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرماً إلا لحاجة لأنهم حملوا الهودج و لم يكلموا من يظنونها فيه.

الخامسة: فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن وأن لا يكثر منه بحيث يهبله اللحم لأن هذا كان حالهن في زمن النبي ﷺ وما كان في زمانه ﷺ فهو الكامل الفاضل المختار.

السادسة: إعانة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان رضي الله عنه في هذا كله.

السابعة: حسن الأدب مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولا سؤال وأنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجنبها ولا وراءها.

الثامنة: استحباب الاسترجاع (وهو قول إنا لله وإنا إليه راجعون) عند المصائب سواء كانت في الدين أو الدنيا وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه.

التاسعة: تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحاً أو غيره.

العاشرة: يستحب أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة رضي الله عنها هذا الأمر شهراً و لم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض وهو قول أم مسطح تعس مسطح.

الحادية عشرة: استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة وإذا عرض عارض بأن يمنع عنها شيئاً أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض فتسأل عن سببه فتزيله.

الثانية عشر: أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها ولا يتعرض لها أحد.

الثالثة عشرة: كراهية الإنسان صاحبه وقريبه إذا أذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه.

الرابعة عشرة: أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبويها إلا بإذن زوجها.

الخامسة عشرة: استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه فيما ينوبه من الأمور.

السادسة عشرة: جواز سب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق وقال: إنك منافق تجادل عن المنافقين. وأراد أنك تفعل فعل المنافقين و لم يُرد النفاق الحقيقي.

السابعة عشرة: براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين.

الثامنة عشرة: فضائل لأبي بكر رضي الله عنه في قوله تعالى: **﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ ... الآية﴾**.

التاسعة عشرة: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين والعفو والصفح عن المسيء.

العشرون: أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويُكَفِّرُ عن يمينه. **(أ . هـ شرح مسلم للنووي بتصرف)**

٩٥ قصة الرضيع الذي كلم أمه

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: كانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارةٍ حسنة فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا. فترك الثدي وأقبل فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة يجعلها في فمه فجعل يمصها قال: «ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيتِ سرقتِ. وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها. فترك الرضاعة ونظر إليها وقال: اللهم اجعلني مثلها. فهناك تراجعا الحديث (حديث الرضيع وحديثها) فقالت: مرّ رجل حسن الهيئة فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثله فقلتَ: اللهم لا تجعلني مثله. ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: سرقت زنيت. فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها. فقلتَ: اللهم اجعلني مثلها. قال: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلتُ: اللهم لا تجعلني مثله. وإن هذه يقولون: لها زنيت سرقت. ولم تزني ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلني مثلها». (رواه البخاري ومسلم)

٩٦ قصة النبي الغازي مع الخائن

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: غزا نبي من الأنبياء (يوشع بن نون) فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضعَ امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبنِ بها (يريد أنه عقد قرانها ولم يدخل بها) ولا أحد بنى بُيوتاً ولم يرفع سقوفها ولا آخر اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ وهو ينتظر ولادها (الخلفات جمع خلفةٌ وهي الحامل من النوق) فغزا فدنا من القرية صلاةَ العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك

مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا. فحُبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت – يعني النار – لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غُلولاً (الغلول الخيانة وخصصه الشرع بالسرقة من المغنم قبل القسمة وسميت بذلك لأن فيها تُغل الأيدي) فليبايعني من كل قبيلة رجل – فَلَزِقَت يد رجل بيده (جعل الله ذلك علامة الغلول. وفيه تنبيه على أن هذه اليد عليها حق يجب أن تتخلص منه) فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك – فَلَزِقَت يد رجلين أو ثلاثة بيده. فقال فيكم الغلول – فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا فأحلها لنا. (رواه البخاري ومسلم)

٩٧ قصة الشريكين المؤمن والكافر

قال السدي: كان شريكان في بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به شيئاً؟ أتجرتَ به في شيء؟ قال له المؤمن: لا، فما صنعت أنت؟ فقال: اشتريت به أرضاً ونخلاً وثماراً بألف دينار. قال: فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال: اللهم إن فلاناً – يعني شريكه الكافر – اشترى أرضاً ونخلاً وثماراً وأنهاراً بألف دينار ثم يموت غداً ويتركها. اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضاً ونخلاً وثماراً وأنهاراً في الجنة. قال: ثم أصبح فقسمها في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال: لا، قال: فما صنعت أنت؟

قال: كانت ضيعتي (مزرعتي) قد اشتد عليّ مؤنتها فاشتريت رقيقاً (عبيداً) بألف دينار يقومون لي فيها ويعملون لي فيها، فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال: اللهم إن فلاناً – يعني شريكه الكافر – اشترى رقيقاً من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غداً فيتركهم أو يموتون فيتركونه، اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار رقيقاً في الجنة. قال: ثم أصبح فقسمها في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك، أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال: لا. فما صنعت أنت؟ قال:كان أمري كله قد تم إلا شيئاً واحداً فلانة قد مات عنها زوجها فأقرضتها ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها. فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الألف دينار الباقية فوضعها بين يديه وقال: اللهم إن فلاناً – يعني شريكه الكافر – تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غداً فيتركها أو تموت غداً فتتركه اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف دينار حوراء عيناء في الجنة – قال: ثم أصبح فقسمها بين المساكين. – قال: فبقي المؤمن ليس عنده شيء فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم وصافحه، ثم قال له: ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت؟ قال: بلى. قال: وهذه حالي وهذه حالك؟ قال: أخبرني ما صنعت في مالك؟ قال: أقرضته. قال: من؟ قال: المليء الوفي. قال: من؟ قال: الله ربي. قال: فانتزع يده من يده ثم قال: : ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٢، ٥٣]؟ قال السدي: محاسبون. قال: فانطلق الكافر وتركه فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه وجعل يعيش المؤمن في

شدة من الزمن ويعيش الكافر في رخاء من الزمان. قال: فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هذا لك. فيقول: يا سبحان الله أوبلغ من فضل عملي أن أُثاب بمثل هذا؟ قال: ثم يمر فإذا هو برقيق لا تُحصى عدتُهم، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هؤلاء لك. فيقول: يا سبحان الله أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟ قال: ثم يمر فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء، فيقول: لمن هذه؟ فيقال: هذه لك. فيقول: يا سبحان الله أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟ قال: ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول: **﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾** [الصافات: ٥١: ٥٣] قال: فالجنة عالية والنار هاوية. قال: فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه. فيقول: **﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ، وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ، أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾** [الصافات: ٥٦: ٦١] بمثل ما قد مُنَّ عليه. قال: فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من شدة فلا يذكر مما مر عليه من الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت.

(أخرجه ابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير في تفسير سورة الصافات)

٩٨ قصة رجل من أهل الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تقطر لحيته من وَضوئه قد عَلّق نعليه بيده الشمال. فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع

ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول. فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو فقال: إني لاحيت (خاصمت) أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم. قال: قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار (استيقظ) تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى صلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث ليالي وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الآن الثلاث مرات: فأردت أن آوى إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك فلم أرك عملت كبير عمل. فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ. قال: ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك».

(رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري، ومسلم، والنسائي)

٩٩ قصة موسى وملك الموت عليهما السلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكّه (يعني لطمه على عينه التي ركبت في الصورة البشرية دون الصورة الملكية و لم يخيره بين الموت والحياة - كما هي السنة عند قبض الأنبياء - فلما جاءه وخيره اختار التعجيل شوقاً إلى ربه الجليل) ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل

له يضع يده على متن ثور (ظهره) فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم مه. قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه (يقربه) من الأرض المقدسة (ليدفن فيها) رمية بحجر (أي دنوا لو رمى رامٍ بحجر من ذلك الموضع الذي هو قبره لوصل إلى بيت المقدس) فقال رسول الله ﷺ: «**فلو كنت ثَمَّ** (هناك) **لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر** (الكثيب: الرمل المجتمع)».

(رواه الشيخان)

١٠٠ قصة سيدنا إبراهيم وسارة والجبار

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات (أطلق عليه الكذب تجوزاً لأنه على صورته وإلا فهو من باب المعاريض المحتملة لأمرين لمقصد ديني وهو فسحة ووقاية من الكذب كما ورد في الخبر إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب فلا يُستدل به على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام) ثنتين في ذات الله (لأجله تعالى وحده) قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال له: لو قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتى بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقُبضت يده قبضة شديدة. فقال: لها ادعي الله يُطلق يدي ولا أضرك ففعلت. فعاد فَقُبِضَتْ أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك، ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأولين فقال

لها: ادعي الله أن يطلق يدي فَلكِ اللهُ (هو قسم والأصل أقسم بالله أن لا أضرك) أن لا أضرك. ففعلت، وأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان و لم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها: مهيم؟ (كلمة معناها ما شأنك أو ما هذا) قالت: كفَّ اللهُ يدَ الفاجر وأخدم خادماً». قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء(*). (رواه البخاري ومسلم)

ويؤخذ من هذه القصة ما يلي:

أولاً: إباحة المعاريض. جمع معراض مأخوذ من التعرض خلاف التصريح ومنه أن معاريض الكلام مندوحة عن الكذب والمندوحة السعة.

ثانياً: قبول هدية المشرك ولو ظالماً لأن ذلك الملك الذي أهدى هاجر لإبراهيم وقبلها منه مشرك وظالم.

ثالثاً: إن الله قد ينتقم من المعتدين حالاً. كما حصل للملك من شلل يده ثلاث مرات حين مدها إليها.

رابعاً: إن الله قد يستجيب للصالحين فوراً. كما استجاب لسارة ثلاث مرات فأطلق يد الملك.

خامساً: إن الله يبتلي الصالحين لرفع درجاتهم. كما ابتلى سارة وإبراهيم بهذا الجبار وغيره من البلاء وفي الحديث: «**أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**».

(*) الكلمات التي بين قوسين ليست من الحديث وإنما هي إضافة المؤلف لتوضيح المعنى.

سادساً: ينبغي للإنسان أن يفزع للصلاة عند الحوادث فقد فزع لها إبراهيم وكان يفزع لها نبينا ﷺ.

١٠١ قصة عظيمة في تيسير الزواج

كان لسيدنا سعيد بن المسيب العالم الجليل وإمام الحضرة النبوية، كان له ابنة مؤمنة ذاع صيتها وشاع أمرها وذلك لشدة إيمانها وكثرة عملها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولما علم بها هشام بن عبد الملك وكان أميراً للمؤمنين أراد أن يخطبها لولده وولي عهده فأرسل رسولاً إلى أبيها في مدينة رسول الله ﷺ ليبلغ سعيد بن المسيب رغبة أمير المؤمنين في ذلك – فما كان من سيدنا سعيد إلا أن قال لهذا الرسول: أبلغ أمير المؤمنين أني رافض لهذه الخطبة .. قال له رسول أمير المؤمنين: ولماذا؟ قال سيدنا سعيد: لأن ولي عهد أمير المؤمنين رجل غير محمود السيرة، فلجأ رسول أمير المؤمنين أولاً إلى أسلوب الترغيب، فقال له: أترفض الملك والعز والجاه والغنى والمال، أترفض ملك أمير المؤمنين، فكان رد سيدنا سعيد على تلك المقالة أن قال: إذا كانت الدنيا كلها عند الله لا تساوي جناح بعوضة فكم يكون ملك أمير المؤمنين في جناح هذه البعوضة ..؟ فلجأ رسول أمير المؤمنين إلى أسلوب الترهيب، فقال له: إني أخشى عليك بطش أمير المؤمنين. فقال سيدنا سعيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] وبعد ذلك جلس سيدنا سعيد ليقرأ درس العصر بمسجد رسول الله ﷺ وكان من تلاميذه في الدرس شاب ورع تقي يدعى أبا وداعة وكان قد غاب عن درس سعيد لم يحضره ثلاثة أيام، فلما رآه

سعيد قد حضر سأله أين كنت يا أبا وداعة؟ قال: يا سيدي لقد توفيت زوجتي إلى رحمة الله وشغلني عنك ذلك، فمعذرة لله ثم لك، فقال له سيدنا سعيد: فهلا أخبرتنا حتى نشاطرك العزاء؟ قال: يا سيدي تركتك لتؤدي دعوة الله لجماعة المسلمين فذلك أولى وأحق من أن تنشغل بي، فشكره سيدنا سعيد على هذا الفهم الكريم ثم قال له: وهل بنيت بغيرها .. أي هل تزوجت بأخرى؟ قال: لا يا سيدي، فقال له سعيد: ولماذا؟ أما علمت أن الله تعالى يكره لأحدنا أن يبيت ليلة من غير زوجة فإنه إن بات ليلة من غير زوجة بات الشيطان يساوره .. فقال أبو وداعة: ومن يزوجني يا سيدي وأنا لا أملك من الدنيا إلا ثلاثة دراهم؟ فقال له سيدنا سعيد: (أنا).

يقول أبو وداعة: فما أن سمعت من سيدنا سعيد كلمة (أنا) حتى قلت لنفسي: ترى ماذا يقصد الشيخ لعله يقصد أن يساعدني ببعض المال لأجد زوجة تناسب مالي وأنا رجل فقير لا ملك عندي ولا مال لي أو لعله يريد أن يبحث لي بطريقته عن امرأة فقيرة ترضى بأن تتزوجني، حتى رأيت سعيد رضي الله عنه يضع يده في يدي على مرأى ومسمع من الحاضرين بمسجد رسول الله ﷺ ثم يسمي الله ويثني عليه ويصلي على رسول الله ﷺ ثم يقول: اشهدوا جماعة المسلمين أن سعيد بن المسيب قد زوج كريمته فلانة لأبي وداعة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى مهر قدره ثلاثة دراهم ثم ختم بالصلاة على رسول الله ﷺ وتمنى لنا التوفيق والرشاد. وبعد ذلك جلس سيدنا سعيد يشرح معنى حديث رسول الله ﷺ: «**من تزوج امرأة لمالها لم يزده الله إلا فقراً .. ومن تزوج امرأة لجمالها لم يزده الله إلا دناءة .. ومن تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا ذلا .. ومن تزوج امرأة لدينها**

بارك الله له فيها وبارك لها فيه»(١). وأنهى سعيد رضي الله عنه درسه وعاد إلى داره فوجد ابنته تقرأ في كتاب الله من سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، فوقفت عند هذه الآية وقالت تسأل والدها: يا والدي لقد عرفنا أن حسنة الآخرة هي الجنة فما هي حسنة الدنيا؟ فقال لها: يا بنيتي حسنة الدنيا هي الزوجة الصالحة للزوج الصالح ولقد مَنَّ الله عليك اليوم بزوج صالح فهيا تجهزي لتُزفي إليه، وبينما كان أبو وداعة في داره يُعد لطعام إفطاره من صيام وإذا بالباب يُطرق يقول: أبو وداعة. قلت: من الطارق؟ قال: سعيد. يقول أبو وداعة: لقد ظننت أن أي سعيد قد يطرق بابي في تلك اللحظة إلا سعيد بن المسيب فقمت لأفتح الباب وأنا على وجل وخوف لعل الشيخ قد راجع نفسه في الأمر أو لعل العروس قد رفضت الزواج مني .. ولكني حينما فتحت الباب إذا بسيدنا سعيد ومعه كريمته بحلاة في ثوب عرسها ومعها الفتيات يحملن الهدايا من خيرات الله تعالى - قال أبو وداعة: قلت: ما أعجلك يا سيدي؟ قال: ألم أقل لك: إن الله تعالى يكره لأحدنا أن يبيت ليلة من غير زوجة حتى لا يساوره الشيطان يا أبا وداعة، هي زوجتك بارك لك فيها وبارك لها فيك، وانصرف سعيد رضي الله عنه وبقيت العروس في بيت زوجها.

يقول أبو وداعة وكنت قد أحضرت طعاماً لأفطر عليه وهو إدام من فول وزيت وقرص من شعير وكوب من الماء القراح. قال: فعمدت إلى هذا الطعام فواريته بعيداً عن نظر العروس حتى لا يقع أول ما يقع على هذا الطعام المتواضع ثم صعدت إلى سطح داري وناديت: يا فلان ويا فلان فأطل عليَّ بعض جيراني وقالوا:

(١) حديث غريب وأظنه ضعيفاً جداً «الناشر».

ماذا تريد يا أبا وداعة؟ قلت: أشهدكم أن سعيد بن المسيب قد زوجني كريمته وإنها لفي داري منذ الليلة وذلك حتى لا يظن أحدٌ بي السوء إذا سمع صوت امرأة معي في الدار – فقال بعضهم لي: أتهزي يا أبا وداعة .. وقال البعض الآخر: لقد جُنَّ أبو وداعة، كيف يزوجك سعيد كريمته التي رفضها لولي عهد أمير المؤمنين. قلت: والله لقد أنجز الشيخ وعده وإنها لفي داري بشحمها ولحمها، فأرسل الرجال من الجيران بنسائهم ليستطلعوا الأمر فوجدن العروس في بيتي حقاً فعدن إلى رجالهن وأقسمن لهم بأن كريمة سعيد باتت عروساً لأبي وداعة حقاً.

فحضر الرجال والنساء جميعاً إلى داري وقام النساء بزفاف العروس، وقام الرجال بزفافي إليها في فرح إسلامي جميل لا يسوده لهو ولا لعب.

قال أبو وداعة: ثم انصرف الجميع إلى ديارهم مشكورين من الله ومني، وأمضيت مع عروسي أسبوعاً كاملاً كأني في الجنة .. !!.

وبعد أن انقضى الأسبوع استأذنتها للخروج، فقالت إلى أين؟ قلت: لأحضر درس سعيد .. فقالت لي العروس: اجلس هنا أعلمك علم سعيد.

وهكذا نرى المؤمنين والمؤمنات لا يقيمون لهذه الدنيا وزناً ولا قيمة إلا في عمل فيه مرضاة لله ولرسوله الكريم ﷺ.

أهـم المراجـع

١- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.

٢- صحيح مسلم بشرح النووي.

٣- رياض الصالحين.

٤- من أخلاق العلماء لمحمد سليمان.

٥- المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين أحمد الأبشهي.

٦- القصص الحق لمحمد خليل الخطيب.

٧- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي.

٨- الكبائر للحافظ الذهبي.

٩- الدين الخالص ج ١ لمحمود خطاب السبكي.

١٠- تلبيس إبليس لابن الجوزي.

١١- الجواب الكافي لابن قيم الجوزية.

١٢- الروح لابن قيم الجوزية.

١٣- من وصايا الرسول (١-١٠) لطه العفيفي.

١٤- الأنابيش لعبد الرحمن الضبع.

١٥- سمير الصالحين لعبد الله محمد الصديق الحسني.

١٦- متفرقات (١-٣) لأحمد عيسى عاشور.

١٧- الأذكياء لابن الجوزي.

١٨- أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي.

١٩- البداية والنهاية لابن كثير.

٢٠- القصص النبوي للسيد شحاتة والسيد تقي الدين.

٢١- ثوابت للمسلم المعاصر د. صلاح الخالدي.

٢٢- لطائف تأليف/ حسن آدم ومحمد بدوي.

٢٣- تربية الأولاد في الإسلام لناصح علوان.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
١- قصة الأبرص والأقرع والأعمى	٥
٢- قصة جريج العابد	٦
٣- أمانة فريدة	٨
٤- صدقة مقبولة	٨
٥- من الغني ومن الفقير	٩
٦- حكم صائب	٩
٧- قصة ذا الكفل	١٠
٨- سوء الخاتمة	١٠
٩- توبة كاذبة	١٣
١٠- أخلاق اليهود	١٤
١١- يوم التوابين	١٦
١٢- قصته ﷺ وجبريل وميكائيل	٢١
١٣- قصة التائب قاتل المائة	٢٢
١٤- الدعاء بصالح الأعمال	٢٤
١٥- قصة أصحاب الأخدود	٢٦
١٦- عاقبة الظلم	٣٠
١٧- قصة أويس القرني	٣١

١٨- عاقبة العقوق ٣٢
١٩- قصة الظالم والمظلوم يوم القيامة ٣٢
٢٠- قصة العابد خمسمائة عام ٣٣
٢١- شؤم النميمة ٣٤
٢٢- قصة العابد وخطيئته وصدقته ٣٦
٢٣- مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ٣٦
٢٤- صلاح النفس ٣٧
٢٥- قصة صاحب الحديقة ٣٨
٢٦- شجاعة غلام ٣٨
٢٧- من نوادر النحاة ٤١
٢٨- نوادر ولطائف وطرائف ٤٣
٢٩- قصة الشافعي مع الحاقدين ٥٣
٣٠- فرج الله ٥٧
٣١- قصة عمر بن عبد العزيز مع نفسه التواقة ٥٨
٣٢- قصة بيع الأمراء وعز العلماء ٥٩
٣٣- قصة رجل دخل الجنة ولم يركع ركعة ٦٢
٣٤- خطوات الشيطان ٦٢
٣٥- من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ٦٥
٣٦- جرأة العلماء على الأمراء ٦٨
٣٧- ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ٦٩
٣٨- قصة الشيطان مع أبي هريرة ٧١
٣٩- دروس وعبر من صحبة الصالحين ٧٢

٤٠- ذكاء الليث بن سعد ٧٣
٤١- سوق الجنة ٧٤
٤٢- اللهم احشرني في حواصل الطير ٧٦
٤٣- لا تلتفت إلى الناس ٧٧
٤٤- قصة البقرة وبر الأم ٧٩
٤٥- عذاب القبر ونعيمه ٨١
٤٦- فضل الإحسان إلى الأرملة ٨٣
٤٧- قصة اللص الفقيه ٨٤
٤٨- ورع أبي حنيفة ٨٧
٤٩- قصة الخشبة العجيبة ٨٧
٥٠- دعوة المكروب ٨٨
٥١- غيرة الصبيان على نبيهم ٨٩
٥٢- الفراسة ٩٠
٥٣- من مكارم الأخلاق ٩٠
٥٤- قصة الشفاعة ٩١
٥٥- المسيح الدجال وعلامات الساعة ٩٣
٥٦- طفل يقيم الليل ١٠٠
٥٧- أسباب عدم إجابة الدعاء ١٠١
٥٨- فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ١٠٢
٥٩- عمر واختباره للولاة ١٠٦
٦٠- الرحمة بالحيوان من أسباب المغفرة ١٠٧
٦١- قصة فتنة سليمان عليه السلام ١٠٧

٦٢- قصة آدم وموسى عليهما السلام ١٠٨
٦٣- المنقذات من المهلكات ١٠٩
٦٤- حسن خاتمة قارئ القرآن ١١١
٦٥- أنوار عمرية ١١١
٦٦- وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ١١٥
٦٧- قصة البطاقة والسجلات ١١٦
٦٨- قصة ذبح الموت ١١٦
٦٩- الرضا بمر القضاء ١١٧
٧٠- أم الخبائث ١١٩
٧١- قصة الشهيد الضاحك ١٢٠
٧٢- قصة المرائين الثلاثة ١٢٢
٧٣- قصة إبراهيم عليه السلام وآزر يوم القيامة ١٢٣
٧٤- قصة الملكين اللذين تركا ملكهما خشية الله ١٢٤
٧٥- فضل صلاة الجماعة ١٢٥
٧٦- من أهوال القبور ١٢٦
٧٧- تأثير القرآن العظيم على الصالحين ١٢٧
٧٨- أربع دعوات ١٢٩
٧٩- عاقبة الحسد ١٣٠
٨٠- من محاسن الحيل ١٣١
٨١- قصة بناء البيت ١٣٢
٨٢- لقمة بلقمة ١٣٧
٨٣- قصة ماشطة بنت فرعون ١٣٧

٨٤- قصة الكافر الأول ١٣٨
٨٥- حلاوة الإيمان ١٣٩
٨٦- قصة الباحث عن الحقيقة ١٤١
٨٧- تحريم الخمر ولو للتداوي ١٤٥
٨٨- قصة يحيى وعيسى عليهما السلام والكلمات الخمس ١٤٦
٨٩- قصص من مشاهد القيامة ١٤٧
٩٠- قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ١٥٠
٩١- قصة الإسراء والمعراج ١٥٨
٩٢- قصة آمر أولاده بحرقه بعد موته ١٦٢
٩٣- قصة أبي طلحة وزوجته أم سليم ١٦٢
٩٤- قصة الإفك ١٦٣
٩٥- قصة الرضيع الذي كلم أمه ١٧٢
٩٦- قصة النبي الغازي مع الخائن ١٧٢
٩٧- قصة الشريكين المؤمن والكافر ١٧٣
٩٨- قصة رجل من أهل الجنة ١٧٥
٩٩- قصة موسى وملك الموت عليهما السلام ١٧٦
١٠٠- قصة سيدنا إبراهيم وسارة والجبار ١٧٧
١٠١- قصة عظيمة في تيسير الزواج ١٧٩

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

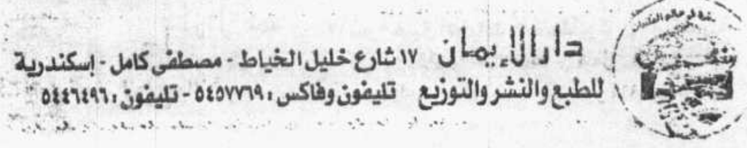




دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦

من أحدث مطبوعات دار الإيمان





من أحدث مطبوعات دار الإيمان





دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦